محمد المي

منطلقات التنوير في الثقافة التونسيّة

[سير.. صور.. شخصيّات..]


محمد المي

منطلقات التنوير في الثقافة التونسيّة

[سير.. صور.. شخصيات..]

محمد المي

منطلقات التنوير في الثقافة التونسيّة

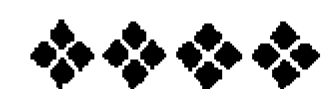
[سير.. صور.. شخصيات..]

تقديم: لطفي العربي السنوسي

تونس
2009

تقديم

الكتابة... أي كتابة... هي تماما كبقعة الضوء التي نرمي بها وسط العتمة فتضيئها... وتعطيها معنى ودلالة ما... ثم تتحول إلى مرجع يستضاء به... فينير ما كان معتما... وما كان غائبا وما كان مهمّشا وما كان مقصيا... الكتابة هي تماما كالبعث الذي يعلن قيامته... وقيامته جديدا لم نكن نعلمه... أو مبتكرا لا أحد انتبه إليه... أو متروكا غفل عنه الناس فأهملوه... فتلاشى بعدما توغل في النسيان وقد ضيعته الريح.

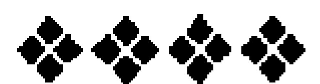


النسيان آفة العقول وتلفها العظيم... النسيان سمة من سمات هذه الأمة ومقتل ذاكرتها... نحن أمّة بلا ذاكرة ما في ذلك شكّ... نحن أمة بلا عتبات ما في ذلك شكّ... نحن أمّة أتلف ذاكرتها النسيان فاهترأت.

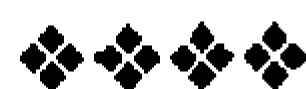
لا ذاكرة... لا بصر... لا بصيرة... لم كل هذا العمى؟ كم يلزمنا من تعويذة لإعادة الضوء إلى العيون؟ كم يلزمنا من تعويذة لرفع الغشاوة عن الأبصار المحشوة بالرماد...؟

هنا العمى مرادف للغيبوبة... أو هو الغيبوبة بل قرينها المطلق... الغيبوبة في تجلياتها الممسوخة... فهي العمى... وهي النسيان... وهي التلف وهي التدهور وهي الإقصاء وهي التهميش

وهي الضياع والتضييع... هي كل هذا مترادفا ومتسقا ومتناغما بما يصنع سمفونية نسميها عمى أو غيبوبة...

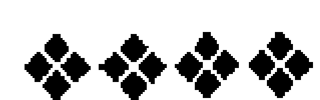


عود على بدء... عود على بدء. لعبة سيزيفية نتقنها جيدا... بل هي دربنا ودربتنا.. نتحرك داخل الدائرة الفارغة... هنا لعبة الفراغ المدوّية... نراوح المكان... نفس المكان ولا نغادره أبدا... لا أفق يغوينا ولا مقصد... عود على بدء... لكأنّ شيئا لم يكن... لكأنّ شيئا لم يحدث... كثيرون مضوا... وكثيرون ماتوا... هو الزمن تراب يداس بحساب أعمارنا... لقد نشأنا على مضض... وكبرنا على مضض... ثم نمضي على مضض لكأنّنا لم نحيى ولم نكن أبدا...



يقتل الأبناء آباءهم... حتى يهنؤوا بسلطانهم المطلق وقد وعدوهم بحياة ثانية بعد موتهم الأول... ستعودون... سنعيدكم... ستكون لكم إقامة مريحة في الذاكرة... وعدٌ ببعث آخر نصدقه ونمضي... ولا أحد يجيء لانتشال الآباء من غفوتهم الأبدية.

وثمّة صدى يجيء من بعيد... يهمس بخجل... لقد كانوا ومضوا إلى علوّ ما... ولا أحد عاد من موته لتأنيب الذاكرة.

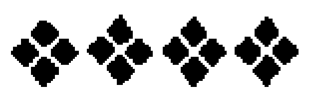


علمتنا الريح... أنّ الخلاص يجيء من بعيد... من حيث لا يرجى... ثمّة أصوات... وضمائر تنهض – لتوّها– لمحاسبة الذاكرة عمّا غفلت عنه فتمدّها بقائمة المنسيين من الموتى... ممّن كانوا... هنا... بيننا فيما مضى... لهم آثار تدل عليهم... ومنجز يشير إليهم

بالأصابع العشر... لِمَ كل هذا النكران... وبعضهم صنع حداثة البلاد في شتى مجالات الإبداع الإنساني وآخرون وضعوا عتبات الإصلاح ونواتات التحديث الأولى... هؤلاء هم الآباء الذين وعدناهم بالبعث... ولا أحد بعثهم...

❖❖❖❖

محمد المي... هذا الابن الضال... اخترق الدائرة. فتح الأفق شاسعا... واختار الأراضي الوعرة... والثنايا البكر... توجه نحو المهمل... والمتروك... وقد انتبه بفطنته إلى أن لا أحد تردد عليه... وأن لا أحد يعي ما يخفيه هذا المهمل والمتروك والمنسيّ... أسماء... وأعلام... وصور وسير... ومنجز... ومقولات... وبطولات... ونجاحات... كتب... ومخطوطات، وأسرار وتفاصيل... وحكايا يندر من يعلمها... لم يترك المتروك... ولم يهمل المهمل... بل تبناه... وأخفاه... ثم نفخ فيه من حماسته... فتنحى الرماد والتراب... وتنحت الغشاوة... واستوى البصر ثاقبا وحادا... دقق في التفاصيل بعين الباحث الشغوف... ترك منها المعلن... وأضاء المجهول والمتكتم عليه... فكان كل هذا الضوء... شخصيات... وصور... وسير لمن صنعوا حداثة هذه البلاد وساهموا في تأصيل كيانها...



محمد المي... بفطنة الباحث... وبتلك الحماسة التي تتوفر لديه... وبتلك الجرأة التي يمتاز بها عن مجايليه... لم يكتف بإعادة الذين مضوا من رواد الفكر والأدب والإصلاح... وإنما التفت إلى من حوله من الآباء... ممن يجالسهم ويتردد على مجالسهم... وممن صادقهم وعرفهم... وممن اخترق تفاصيلهم وكل ما هو

حميمي... فأعاد كتابتهم من خلال "بورتريهات" مصاغة بمحبة وبإخلاص لآبائنا... وهم ما يزالون هنا... بيننا... ينبضون حياة وإبداعا...

هذا كتاب نعتبره ضروريا يجيء ليملأ فراغا عظيما في الذاكرة... كتاب من أجلنا... من أجل الأبناء والأحفاد... كتاب للبلاد والعباد.

لطفي العربي السنوسي

مقدّمة الكتاب

جاء هذا الكتاب بطلب من الصديق الدكتور عبد الجليل بوقرة مدير جريدة الصحافة (التونسية) إذ عرض عليّ أن أكتب عن أعلام الثقافة التونسية – من الأموات والأحياء- بطريقة تميّزني عمّن سبقني في تراجم الرجال والأعلام، ذلك أن العديد من كتابنا ومثقفينا أبدعوا في مجال التراجم منذ ظهور جريدة الرائد التونسي ببلادنا... ولهذا أردت أن أتوجه بالشكر إلى صديقي الدكتور عبد الجليل بوقرة علي إتاحته لي الفرصة للكتابة في الجريدة التي يديرها... وقد حفزني على اقتحام هذا الميدان فكانت هذه التراجم.

أما منهجي في كتابتها فقد كان على النحو التالي:

1- أنني اصطفيت ممّن أعرف من الأحياء ومن كانت لي بهم علاقات وسنحت لي الظروف للاقتراب منهم ومعرفة أحوالهم وقراءة كتاباتهم، فكتبت ما أعرفه عنهم ولم أجنح إلى تعداد مؤلفاتهم وذكر إنجازاتهم إلا بالقدر الذي رأيته يفيد القارئ، فكانت الترجمة تقترب من رسم البورتريه، إذ ربّما يجد القارئ في معلومة بسيطة سعت إلى تصوير خصوصية المترجم له ما يفتح له أفق البحث ويفسّر له أمرا تعلّق بالشخصية التي كتبت عنها.

2- اخترت ممن توفاهم الله العلامات النّيرة في تاريخ ثقافتنا وأغلب هؤلاء من أعلام الثلث الأول من القرن العشرين وبعضهم الآخر – وعددهم قليل – ممّن أدركته وكان يعيش بيننا فكتبت ما أعرف عنه مركزا نظري على جوانب الطرافة والإضافة. وفي الترجمة للأموات حاولت ذكر بعض المعلومات كتاريخي الولادة والوفاة أو ذكر أعماله الكبرى والتنبيه إلى أهميته في مسار حياتنا الثقافية والأدبية.

3- انصبّ وعيي أثناء كتابة هذه التراجم إلى تنبيه المعاصرين والأجيال اللاحقة إلى أهمية هؤلاء الرجال لأنّي لاحظت أن أبناء جيلي – خاصة – لا يكاد الواحد منهم يعرف كثيرا أو قليلا عن الأجيال المتقدّمة. ولمّا كانت ثقافتنا تقوم على التراكم وضرورة اعتراف اللاحق بما قدم السابق فإني اجتهدت-ما أمكنني الاجتهاد- إلى تقريب صورهم وإنجازاتهم وأهمية أعمالهم إلى المعاصرين من الكتّاب والأدباء.

وحسبي من هذا العمل أن أكون قد ساهمت في تكريم من ترجمت لهم، وذكّرت بهم وربّما يكون عملنا هذا فاتحة لكتب تسهب في التعريف بهم وتتوسّع في التركيز على كلّ جوانب حياتهم العلمية والأدبية والثقافية، ذلك أن لأعلامنا علينا الكثير من الواجبات.

لقد وسمت كتابي هذا بـ"منطلقات التنوير في الثقافة التونسية" على اعتبار أن من ترجمت لهم في هذا الكتاب

أسهموا في دفع الفكر التنويري التونسي أو العمل على إبرازه من حيّز القوة إلى الوجود. ونظرا لأن فعل التنوي في استمرار دائم فإننا لم نتوقف عند الرموز الأوَل بل مزجنا اللاحق بالسابق دون مراعاة أي نوع من الترتيب أو التقسيم كأن نفرد للأموات فصلا وللأحياء فصلا آخر أو أن نبدأ بالأسبق في الولادة أو أن نرتب المداخل على حروف المعجم... الخ.

إني قصدت التنبيه لمن اخترتهم موضوع الكتابة فاستدعيت عديد الأسماء التي رأيتها تؤكد صحة التمشّي الذي اخترت. قد نحتاج فكر الحداد في لحظتنا الراهنة قدر احتياجنا إلى جهود الأحياء الذين ترجمت لهم...

المؤلّف

زبيدة بشير

عندما أطلق مركز البحوث والدراسات والتوثيق والإعلام حول المرأة (الكريديف) اسم زبيدة بشير على جائزة تمنح لأفضل عمل يهتم بالمرأة ويعلن عنه يوم 8 مارس من كل سنة، لم يكن يعلم من أطلق اسمها على الجائزة أنها على قيد الحياة بل كانوا يحسبون أن جسمها قد واراه الثرى.

ولهؤلاء عذرهم، إذ بعد صدور مجموعتها الشعرية البكر "حنين" سنة 1968 بتقديم الشاعر الكبير مصطفى خريّف اختفت زبيدة بشير عن المشهد الثقافي.

أقول اختفت لأنها كانت تملأ الساحة الثقافية فهي من أولى المذيعات إلى جانب مليكة بلخامسة وناجية ثامر وهند عزّوز وكانت تنشر مقالاتها وقصائدها في مجلة الإذاعة قبل أن يتحوّل اسمها إلى مجلة الإذاعة والتلفزة.

كانت زبيدة بشير تنشر مقالاتها كذلك في الصباح وفي العمل وفي الفكر وفي الشعب وفي اللغات وفي كل المنابر الثقافية المتاحة إلى حدود منتصف الستينات.

كانت المرأة الوحيدة التي تحضر مجالس المثقفين من الرجال وكانت تدلي بآرائها واستطاعت بشخصيتها المتحدية والرافضة

في الوقت نفسه أن تمثل نموذج المرأة المتحررة والمنفلتة من قيود المؤسسة الاجتماعية.

اختفت من المشهد الثقافي ما يزيد عن الثلاثين عاما إلى أن فاجأت الناس بحضورها ذات أمسية بالكريديف لتقول للكل إنني على قيد الحياة.

ولكي تثبت وجودها نشرت مجموعة شعرية ثانية عنوانها "آلاء" ولكن عودتها لم تكن بالصفة التي تصورتها وهو ما جعلها تختفي مرة أخرى وأحيانا تطلع علينا أخبارها ولكنها مازالت مصرّة على مقاطعة الأماسي الثقافية.

وإلى حدّ علمي فإن لها مجاميع شعرية أخرى تنتظر الطبع وليتها تعجّل بنشرها وترجع إلى مقالاتها التي كانت تنشرها في المنابر التي ذكرنا وتجمعها لتدفع بها هي الأخرى للنشر إذ لا يمكن دراسة تاريخ الحركة الثقافية والأدبية في تونس إثر الاستقلال دون أن نذكر زبيدة بشير كرائدة من رائدات الكتابة والنشر.

إن نموذج زبيدة بشير هو نموذج المثقفة التونسية التي تستحقّ من الأجيال الجديدة التعريف بها والتوقف على نوعية حضورها في زمن كان من الصعب على المرأة أن تحضر فيه بالكيفية التي حضرت بها زبيدة بشير.

محمد فريد غازي

[1929ـ 1962]

مثّل الدكتور محمد فريد غازي ولا يزال ظاهرة تكاد تكون فريدة في تاريخنا الثقافي المعاصر، ليس له سابق ولا لاحق في مجالاته فهو شاعر وقصّاص وروائي وناقد أدبي وناقد ثقافي وناقد اجتماعي وباحث جامعي ومعرّب ومترجم وصحفي ومذيع يفهم في كل شيء وله في كل شيء رأي ونشر.

جمع بين حياة البوهيمية والفوضى والاستهتار وبين العلم والمعرفة والبحث الجامعي والأكاديمي ورغم أن لكل عالم من هذه العوالم خصوصياته وطقوسه فإنه عاش النمطين إلى درجة جعلت البعض يشكك في كتاباته وفي نسبتها إليه وفي علمية نظرته ورأيه.

والرأي عندي أن غازي كان كل ذاك في الوقت نفسه لأنك عندما تقرأ كتاباته تجد فيها ضعف التركيب والخطأ اللغوي بل أتيح لي أن أسمع محاضرة من محاضراته الإذاعية ووقفت على ذلك ولكن ما يتميز به غازي هو عمق الفكر وطريقة تناوله الموضوع، وهذا يرجع إلى كثرة مطالعاته وعدم تهيبه النشر وعدم تفريقه بين ما ينشر في الجريدة وما ينشر في المجلة وما يذاع، لأنه يعيش الحالة الثقافية قياسا على الحالة الصوفية.

خاض معارك مع الجامعيين أمثال المرحومين الشاذلي بويحيى وفرحات الدشراوي وأعجب به بعض الجامعيين كتوفيق بكار وحسن الصادق الأسود وفوزي الزمرلي وكمال عمران والمنصف الجزار ومحمد القاضي ومحمد لطفي اليوسفي... ولكل منطلقه في الرفض وفي القبول ولكننا في النهاية نظفر بأن محمد فريد غازي مثّل حالة ثقافية وظاهرة تستحق الدراسة.

أصدر محمد فريد غازي عديد الدراسات في الجرائد والمجلات المحكمة وغير المحكمة وبالعربية والفرنسية ويشاع أنه حرّر عديد الأطروحات الجامعية باللغة الفرنسية لعديد الأساتذة الجامعيين الذين سافروا إلى فرنسا لمناقشة أطروحاتهم في السربون أو غيرها. العديد من آثاره وأفكاره تمّ نهبها من طرف بعض "الباحثين" ولا تزال عرضة للنهب وليس هناك من سبيل لإيقاف هذا السيل إلا بالتصدي لجمعها ونشرها سواء من طرف مصالح وزارة الثقافة والمحافظة على التراث كالمركز الوطني للاتصال الثقافي أو بيت الحكمة أو الدار العربية للكتاب أو من طرف بعض الناشرين.

كتب عنه عز الدين المدني وفوزي الزمرلي وأسس ملتقى يحمل اسمه في جربة وليت ذلك الملتقى يعمل على نشر أعمال غازي فيكون قد قدم خدمة للثقافة التونسية ولعلم من أعلامها الذين وهبوا أنفسهم للفكر والأدب والثقافة.

إن محمد فريد غازي جدير بأن تجمع أعماله وتنشر بين الناس حتى تعرف الأجيال الحاضرة والقادمة مقامه الحقيقي.

مصطفى الفارسي

[2008_1931]

إذا كان المسعدي من أدباء الباكالوريا فإن مصطفى الفارسي من أدباء المعاهد الثانوية فهو أكثر الأدباء التونسيين الذين لهم نصوص مدرجة في برامج التعليم الثانوي.

ومرة حدث وأن سافرت معه إلى قفصة للمشاركة في فعاليات ملتقى القصة القصيرة في إحدى دوراته فقال لنا: أنا صاحب "لالوكوموتيف". لم نفهم معنى كلامه فسألته وما تقصد بذلك قال: لي خمسة كتب مدرجة في البرامج المدرسية.

كان يتحدّث عن ذلك بافتخار وكان يردّد قولة استرعت انتباهي: "أنا مغامر ومقامر وأحبّ الحياة".

وفي تلك السفرة اكتشفت أن الرجل لا يحبّ الحياة بل يعشقها عشقا لا يوصف، فقد اكتشفنا فيه الرجل البشوش، الضحوك، الراقص، المحداث، يكاد لا يمرّ وقت ولا يحدثنا فيه عن حكاية من الحكايات.

أنهكنا السفر ولم ينهكه رغم تقدّمه في السنّ. نال جائزة محمد محفوظ بعد احتجاج أبلغه بنفسه إلى المسؤولين وكان لا يتهيّب المطالبة بشيء إذا أحسّ أنه أحد حقوقه بل يستميت في الدفاع عن ذلك الشيء.

انخرط في اتحاد الكتّاب بل كان أحد مؤسسيه وانخرط في اتحاد كتّاب إفريقيا وآسيا وترأس تحرير مجلة "لوتس".

سافر إلى أغلب مدن العالم وطاف بلدان آسيا وإفريقيا وأوروبا، عاش حياته بالطول وبالعرض.

ترأس دائرة المسرح في وزارة الثقافة وكانت له صولات وجولات مع المسرحيين. ونتج عن اتصاله بالمسرحيين أن كتب للمسرح وكذلك فعل عندما كان رئيسا مديرا عاما لـ"الساتبيك".

إن زرته في منزله فكأنما تزور متحفا يعجّ بالآثار النادرة واللوحات الرائعة فتشعر أنك في رحاب بيت فنان بأتم معنى الكلمة. ما لا يعرفه العديد من الناس عن مصطفى الفارسي أنه كتب الشعر المنثور وكان مولعا بالرسم بل رسم العديد من اللوحات الرائعة.

أورث ابنته هيفاء حب الأدب إلى أن عدّت الأدب هويّتها لا هوايتها.

هو الآن يعاني المرض – شفاه الله– ولكنه رغم ذلك لا يزال في قلوب كل الذين عرفوه عن قرب واقتربوا منه بشكل أو بآخر.

من يعرف مصطفى الفارسي يمكن أن يختلف معه في العديد من الأشياء ولكن لا يمكن إلا أن يحبه لأنه كما قال عن نفسه: مغامر ومقامر ويحبّ الحياة.

ومهما يكن من أمر فإن مؤلفات مصطفى الفارسي ستبقى نموذجا للكتابة دالة على تطوّرها في وقت من الأوقات وشاهدة على قضايا الأدباء والكتاب التي كانت تشغل بالهم في فترة من الفترات وربّما تعود إليها أجيال الغد لترى فيها ما لم يتحه حجاب المعاصرة في الوقت الراهن.

محمد الحليوي

[1907ـ 1978]

هو سليل المدرسة القيروانية. عرف بنقده وشعره والتصق اسمه بشاعر تونس الأول أعني الشابي.

ولد في مدينة القيروان يوم 3- 8- 1907 فصرف أول حياته إلى التحصيل العلمي إلى أن أصبح مؤدب صبيان بعد نيل شهادة ترشيح المعلمين سنة 1928 فدرّس في بني خلاّد وقربة ورادس والقيروان. عرفت العديد من الصحف التونسية والعربية كتاباته كمجلتي "أبوللو" و"الرسالة" المصريتين والمعلم العربي والمدرسة والمربّي ومكارم الأخلاق والعالم والعالم الأدبي والأفكار والجامعة والمباحث والثريا والمجلة الزيتونية والإذاعة والندوة والفكر والثقافة والنهضة والزهرة والزمان والصريح والأسبوع والعمل والصباح.

وكانت له العديد من الآراء التي تنم عن الجرأة وبعد النظر ومن يطالع رسائل الحليوي إلى الشابي يدرك عدة مسائل :

أولها : أنه كان صريحا يكره المجاملة وهو الذي نصح الشابي بعدم تقديم ديوان أحمد زكي أبي شادي.

ثانيها : أنه كان واسع الاطّلاع فقد أفاد الشابي بعدة آراء وبصّره بأهمية الأدب الفرنسي.

ثالثها : أنه أسهم في توجيه وعي الشابي واضطرّه إلى المجاهرة ببعض آرائه.

لذلك عدّت رسائله مدخلا أساسيا لفهم آرائه النقدية وتفسير بعض المواقف ذات الصلة بأدبنا التونسي وما حدث في فترة من أعتى الفترات التي مرّت بها الثقافة التونسية.

ذكر في ترجمة كتبها عن نفسه أن أصله عراقي وافتخر بأن ابن أبي الضياف قد ذكر جدّه الثاني وعدّه من علماء القيروان في أوا خر القرن الثالث عشر الهجري.

لا يمكن لمن يروم أن يقرأ تاريخ الحركة الأدبية والفكرية في الثلث الأوّل من القرن العشرين أن يمرّ مرور الكرام على ما كتبه الحليوي كما لا يمكن لمن يروم الحديث عن الشابي أن يغفل محمد الحليوي.

لم تذكر المراجع التي تناولته بالدراسة أنه صاحب مواقف نضالية في الميدان الوطني ولكنّها أجمعت على أنه من مناضلي الثقافة وأحد أركان نهضتها وازدهارها.

توفي الحليوي سنة 1978 وبيعت مكتبته إلى بلدية القيروان ولم يقع استغلالها على الوجه الذي يجب أن تستغلّ به وكان بإمكان تلك المكتبة أن تتحوّل إلى نواة لتأسيس مكتبة ضخمة حول أعلام القيروان أو أن تتحوّل إلى متحف يعكس الوجه الحضاري والثقافي للعاصمة الإسلامية لتونس.

وها إننا نستغلّ هذا المنبر لنلفت الأنظار إلى ضرورة التصدي لهذه الفكرة بمناسبة اختيار القيروان عاصمة للثقافة الإسلامية، فالقيروان زاخرة بالأعلام والمعالم وقد تخرّج منها كبار شعراء تونس وعرفت بمدرستها ومكانتها الأدبية.

لذا فإننا نراها جديرة باحتضان مكتبة أو متحف يكون مزارا للتعريف برجالات القيروان وربما تحويل المزار إلى مركز للبحوث والدراسات حول التاريخ الثقافي والحضاري هذا على النطاق العام أما على النطاق الخاص فليت سنة 2008 تكون مناسبة لإعادة طبع أعمال الحليوي بمناسبة مرور ثلاثين عاما على وفاته.

الطاهر الحداد

[1899ـ1935]

ولد الطاهر بن علي بن بلقاسم الحداد سنة 1899 بتونس العاصمة ولم يكن يعرف أن الحياة قد اختارته لتأدية مهام، كأنه لم يخلق إلا لها وكأنها لن تكون إلا به.

بدأ حياته كاتبا في جرائد "الأمة" و"مرشد الأمة" و"إفريقيا" ولم يكن يعرف أن تلك الكتابات ستحول إليه الأنظار وتكون محل نقاش وأخذ وعطاء بين زعماء البلاد في تلك اللحظة مما دفع الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى أن يصطفيه من زمرة قليلة ليكون أحد مؤسسي الحزب الحرّ الدستوري التونسي (1920) بل كانت كتاباته في الجرائد وسطوع اسمه فيها سببا لتكليفه بالدعاية والإعلام في ذلك الحزب. فكان أحد أبرز الأحرار الدستوريين.

هاجر الثعالبي إلى المشرق العربي (1923) وترك فراغا كبيرا في البلاد أشعر الحداد باليتم وبلا جدوى مواصلة المسيرة مع زمرة حادت عن المبادئ الأولى للدستور...

جاء محمد علي الحامي بأفكار لا تتسع لها البلاد وأراد أن يقيم الدنيا ويغيّر الطبائع ويؤسس و... و... فكان الحداد عضده الأيمن ورأسه المفكر وعينه التي يرى بها الأشياء فأسس معه

جامعة عموم العملة التونسية (1924) ولم يكتب لتلك الحركة أن تعمّر طويلا بل سرعان ما بادرت سلطات الاستعمار إلى حلّها (فيفري 1925).

لم ييأس الحدّاد بل واصل النضال وأرّخ لتلك الحركة في كتابه الأشهر "العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية" (1927) الذي صادرته سلطات الاستعمار ومنعت تداوله حتى لا يعمّ النور أرجاء البلاد وأفكار العباد.

لم ييأس الحداد بل واصل النضال ورأى أن الإصلاح لا يقوم بغير الصلاح: صلاح الناس والأفكار... فكتب لإصلاح العائلة والمنزل وتحرير المرأة من نفسها ومن سلطان التقاليد الفاسدة فقامت ضدّه الرجعية الفكرية حيث جرّد من شهائده العلمية ومنع من حقّ الزواج وممارسة أبسط حقوق المواطنة وطالبوا بإخراجه من الملّة وأخرج قسرا من قاعة الامتحانات ومنع من العمل بسبب كتاب وسمه بـ"امرأتنا في الشريعة والمجتمع" (1930).

لم ييأس الحداد بل واصل النضال وكتب كتابا عن إصلاح التعليم الزيتوني وآخر ضمّنه أشعاره وآخر ضمّنه خواطره فلم تر النور إلا بعد وفاته وبعد سنوات من الاستقلال.

أصرّ صديقه الصحفي الجهير الهادي العبيدي أن يكتب على ضريحه ما يلي: "هذا ضريح شهيد الحق والواجب المصلح الاجتماعي الطاهر الحداد".

توفّي الحداد يوم 7 ديسمبر 1935 ولم يسر في جنازته سوى نفر قليل من إخوان الصفاء وخلان الوفاء.

وبقيت كلماته ترنّ في الآذان وصدى صوته يتردّد داخل الأنفس إلى أن جاء الاستقلال وتحولت كلماته إلى قوانين ملزمة للأفراد والجماعات وأقيمت له الذكريات وأطلق اسمه على الأنهج ودور الثقافة والساحات العمومية وألّفت حوله الكتب ونال في عهد التغيير وشاح الاستحقاق الثقافي.

لقد مثل الحداد نموذج المثقف الواعي والوطني الغيور والمناضل الحق، كان مثقفا واعيا لأنه لم يساير السرب بل كان مختلفا مخالفا مضطلعا بوظيفة التوعية والتنبيه والنصح والإرشاد والتجريح والتعديل.

كان وطنيا غيورا لأنه لم يشأ لوطنه أن يرزح تحت عبودية العادات الفاسدة والأوهام البالية والأفكار الظلامية والآراء الرجعية، كان مناضلا حقا لأنه لم يركن للراحة ولم يؤمن بالخمول ولم ينثن جرّاء ما تعرض له من شكّ وتشكيك وتخوين وتجويع وحرمان وامتهان.

لقد مثّل الحداد صورة البركان الهائل الذي انفجر بالآراء النيّرة والأفكار الطلائعيّة والنظرة التقدميّة ولم يخف في الحق لومة لائم.

انتمى الحداد إلى عديد الجمعيات الثقافية لإيمانه أن للجمعيات الدور الأكبر في النهوض بالأفكار وتكريس النور مكان الظلام فكان نبيّا مجهولا في عصره وأصبح إماما متّبعا بعد وفاته. قال عنه عميد الأدب العربي طه حسين بعد الفراغ من قراءة كتابه : "لقد سبق هذا الفتى قومه بقرنين".

محمود بورقيبة
شاعر الشباب
[1956-1909]

قد لا يعرف اليوم أن العديد من الأغاني التي يتغنى بها كبار الفنانين التونسيين كتبها شعراء كبار أمثال الهادي العبيدي وعلي الدوعاجي وعبد الرزاق كرباكة وجلال الدين النقاش والطاهر القصار ومحمود بورقيبة الذي ولد في نفس السنة التي ولد فيها الشابي وخريف.

عرف محمود بورقيبة في بداية حياته صحفيا حيث كتب في الوزير والعالم الأدبي والأفكار والنهضة والزهرة والثريا والزمان والأسبوع والزهو والصريح.

ورغم أنه قد عرف بلقب شاعر الشباب إلا أن روح الشيخوخة هي التي كانت تتحرك في داخله فقد كان من معارضي الحداد وكان من معارضي الزعيم بورقيبة الذي قام بفصله من الإذاعة إبان الاستقلال فلم يحتمل صدمة فصله منها وهو الذي عمل فيها منذ تأسيسها سنة 1938 فتوفي بعد فصله بأيام قليلة وكان ذلك يوم 22 ماي 1956.

كان كثير الكتابة في الجرائد والمجلات حتى أنه كان يمضي بالعديد من الأسماء المستعارة كـ: "م.أ.ب" و"شاعر الشباب"

و"أبو نظارة" و"فلان" و"أبو جلال" و"أبو نجوى" و"فتى الجيل" و"فتى جبل المنار" و"صديق الشاشة" و"الملقن المتقاعد".

صدر له في حياته كتاب عنوانه: "ما بلغه التعليم التونسي في البلاد التونسية" وهو كتاب فيه تزلف لسلطات الحماية وله ديوان شعر كبير عنوانه "أوراق متناثرة" ضاع أغلبه رغم أن صاحبنا نشر الكثير من أشعاره وقد قام الحبيب بن فضيلة بجمع العديد منها وصدرت هذه الأيام في كتاب أنيق المظهر — لم نطلع عليه بعد — فله الشكر وللمركز الوطني للاتصال الثقافي التحية على هذه البادرة الجميلة.

ولصاحبنا كذلك كتاب بعنوان "كعبة الضاد إلى لغة الضاد" وهي مجموعة محاضرات إذاعية كما أنه ترجم بعض المسرحيات خاصة "حلاق اشبيلية" مع الأستاذ البشير المتهني وقد نقلت هذه المعلومات من نشرية أصدرتها دار الثقافة ابن رشيق وأعدها المرحوم الحبيب شيبوب وبما أن جزءا من ديوانه قد نشر فليت هناك من يتصدى لنشر بقية أعماله لأنها جزء من ذاكرتنا التي لا يجب أن تبقى طي دفاتر النسيان والإهمال.

قد لا يمثل محمود بورقيبة عصرنا ولكنه يمثل ثقافة كانت سائدة وذوقا كان منتشرا ومن الضروري أن تعرف أجيال اليوم تاريخها الثقافي فلا شيء ينطلق من فراغ بل إن التراكم هو أصل البناء والتنوع والاختلاف.

روى لي الأستاذ كرو أن محمود بورقيبة كان حارسا لمقبرة تربة الباي وقد ورث هذه المهنة عن والده الذي ورثها عن جد محمود بورقيبة وكانت هناك مكتبة ضخمة في تربة الباي لآل بورقيبة غير أن تلك المكتبة تلاشت واندثرت.

والشاعر الذي نتحدث عنه لا صلة له بالزعيم الحبيب بورقيبة، فالأول أصيل العاصمة والثاني أصيل المنستير كما هو معلوم.

حسين الجزيري
[1974-1894]

مثّل الشاعر والصحافي حسين الجزيري أحد أهم رموز الحركة الأدبية والصحفية في الثلث الأول من القرن العشرين.

وقد عرف بولائه التام للحزب الدستوري القديم وبمعارضته لرموز التحديث الأدبي والفكري فقد نكّل بالشابي إذ لم يقبل نشر قصائده في جريدة الزمان إلا بعد أن توسط له في ذلك زين العابدين السنوسي وكتب عشرات المقالات في شتم الطاهر الحداد وعمل على التشهير به وحرّض الناس للكتابة ضدّه وامتنع عن نشر ردود الحداد على معارضيه وخاض معارك ضدّ محمود بيرم التونسي وغير هؤلاء من الأدباء والكتّاب الذين عملوا على إرساء روح التجديد الأدبي والفكري.

ورغم ذلك فإن حسين الجزيري هو من أبرز رجالات الصحافة في تونس حيث ترأس تحرير العديد من الجرائد سواء الوطنية أو الهزلية الساخرة وله أسلوب بديع في وصف المأكولات والعادات والتقاليد، فأشعاره ومقاماته وأزجاله تعد سجلا حقيقيا لمعرفة العادات والتقاليد التونسية وقد تمكن في حياته من نشر بعض إنتاجه ونشر له الحبيب بن فضيلة بعض إنتاجه الآخر ولكن العديد من مقالاته وأشعاره ومقاماته لم تزل مغمورة في الجرائد ولم يقع الكشف عن جوانب أخرى من

شخصيته التي يجدر أن يقع الاهتمام بها أكثر لأنه مثل نمطا من التفكير كان سائدا في زمن ما ولا بد للأجيال الجديدة من معرفة رموز وأنماط الفكر السائد في الثلث الأول من القرن العشرين، لأنه لا يمكن أن نقول إن الشابي أو الحداد كانا مجددين إن لم نعرف أنماط الفكر التقليدي والكلاسيكي فبضدّها تتميّز الأشياء.

إن نموذج حسين الجزيري لابد أن يعرف ولابد من نشر تراثه فكما يقول المرحوم سعد غراب متحدثا عن التراث: "إن كل تراثنا جدير بالاهتمام" في تراثنا ما هو صالح وما هو فاسد ومهمة الأجيال الجديدة هي معرفة كل أنماط التراث، يجب أن تعرف وأن تخضع للنقد والمساءلة والغربلة فنعرف مما نستفيد بفضل الرؤية النقدية والعقل التحليلي ولا خوف على الفكر فقد بلغنا من الرشد ما يجعلنا نتحصن من كل أشكال الرجعية والظلامية فما كانت رموز الفكر التنويري لتكون لولا وجود أشكال وأنماط جعلتها تكتب وتناضل من أجل إرساء أسس التنوير والعقلانية.

عبد الرزاق كرباكة

[1945_1901]

"اقرا الجريدة إن تشأ أو سبّـها لا شيء غير الحق يرضي ربّها
شأن الصحافة أن تسيّر شعبها نحو الهدى لا أن تساير شعبها"

عندما تسلم المرحوم عبد الرزاق كرباكة رئاسة تحرير جريدة "الزمان" جعل هذين البيتين شعارا لها، ذلك أن العمل الصحفي في تقديره مسؤولية اجتماعية لها مقاصدها النبيلة وأبعادها التوعوية الراقية وبالتالي فإن مسؤولية تسيير الصحافة وتوجيه مواضيعها من الأمور الواجبة.

الكثير لا يعرف عن كرباكة أكثر من كونه شاعر لهو ومجون وأنه أحد أعضاء جماعة تحت السور والحال أن البحث في شخصيته الثقافية يفضي إلى نتائج مختلفة تمام الاختلاف.

أول جريدة أدارها الشاعر كرباكة هي جريدة هزلية اسمها "المضحك" أدارها في بداية عهدها الشاعر والصحفي حسين الجزيري ثم تولاها كرباكة وكان يمضي أغلب مقالاته فيها باسم مستعار هو: "محرّره معروف".

انتقل بعد احتجاب "المضحك" إلى جريدة "لسان الشعب" وكانت له سانحة عنوانها "حديث الثلاثاء" على غرار السانحة التي كان يكتبها عميد الأدب العربي طه حسين "حديث الأربعاء" ولئن كانت أحاديث طه حسين أدبية فإن أحاديث كرباكة كانت اجتماعية صرفة.

وتجلّى توجهه الاجتماعي ذاك بداية من سنة 1932 عندما تولى رئاسة تحرير جريدة الزمان حيث دافع عن الحرف والمهن التونسية وعلى رأسها صناعة الشاشية التي اعتبرها سيدة الصناعات ودافع عن صناعة الحرير وعن الخبازين والاسكافيين، وغيرهم كثير وقد تحدث المرحوم محمد الصالح المهيدي عن ذلك بتفصيل في مقال أثبتناه في كتابنا الذي أصدرناه عنه ضمن سلسلة ذاكرة وإبداع سنة 2003 بعنوان: "محمد الصالح المهيدي: حياته وتراثه".

قامت في تونس معركة الشعراء الثلاثة فكان كرباكة هو الأول حيث رشّحه الذوق السائد وقتها ليكون على رأس القائمة.

دافع كرباكة كذلك عن الحدّاد فكتب قصيدة يدافع فيها عنه في حفل التكريم الذي أقيم له في الكازينو البلدي بالبلفدير ولكنه تراجع بعد ذلك ليكتب قصيدا آخر يبرز فيه موقفا مختلفا.

كتب للمسرح وقدّمت مسرحياته من طرف العديد من الفرق التمثيلية هذا ولا ننسى أنه كان عمدة الجمعيات الثقافية كجمعية الكتاب والمؤلفين التونسيين وغيرها من الجمعيات السائدة في ذلك العصر.

عندما توفي رحمه الله فجعت فيه الأسرة الثقافية والأدبية لأنه كان مثالا في الغيرة على الأدباء والكتاب والدفاع عنهم

فأصدرت عنه مجلة الثريا عددا خاصا لتكريمه وإحلاله المنزلة التي يستحق وأصدر عنه الأستاذ أبو القاسم محمد كرّو كتابا هو من أهم المراجع التي كتبت عنه إلى يوم الناس هذا.

لقد كان الفنان عبد الرزاق كرباكة من أهم اللحظات الفارقة في تاريخ الحركة الأدبية والفنية ببلادنا، لذلك هو جدير بالتكريم والتذكير بجهوده وأفضاله على الأدب والأدباء.

أبو القاسم محمد كرو

ولد الأستاذ أبو القاسم محمد كرو – رعاه الله – يوم غرة جويلية 1924 في مدينة قفصة ولم يكن له ليصير إلى ما صار إليه لولا عزيمة وقوة إرادة ذاتية غيرت مجرى حياته فدرس في الفرع الزيتوني بمسقط رأسه إلى أن تأهل للالتحاق بدروس الجامع الأعظم.

لم يتم دراسته هناك بل أصرّ على الهجرة لنصرة الأشقاء الفلسطينيين فألقى بالقلم وأصر على حمل سلاح المقاومة... ولم يكن له ليصير إلى ما صار إليه لولا رجالات مكتب المغرب العربي في القاهرة الذين حولوا وجهة حياته ورغّبوا إليه طلب العلم من جديد، فقصد بغداد والتحق بدار المعلمين العالية وفيها تعرف إلى السياب ونازك الملائكة والبياتي وبلند الحيدري وكتب كتابه البكر "ماي شهر الدماء والدموع" ثم تلاه"كفاح وحب" ثم "الشابي: حياته وشعره" وهكذا اختط مسيرته منذ البداية حيث اختلط فيها الكفاح بالحب وتاريخ الوطن بتاريخ الأعلام فلم يفصل ذاته عن وطنه بل أدرك أن الذات لا وطن لها غير المنبت الذي منه بزغت.

تفتح وعيه على حب الوطن والإيمان بالعروبة وكبر الحلم فعاد إلى تونس قبيل الاستقلال وأسس أول سلسلة كتب شهرية في تونس فأحدث ثورة في عالم النشر بدأها بكتاب وسمه "نداء للعمل" وكتب في تلك السلسلة الدكتور الطاهر الخميري "مرآة

المجتمع" و"مكافحة الثقافة" وكتب العروسي المطوي "...ومن الضحايا" وكتب محجوب بن ميلاد "تحريك السواكن" وغيرها من العناوين الطلائعية التي لا تزال مرجعا في تاريخ الثقافة التونسية.

وأبو القاسم محمد كرو لمن لا يعرفه رجل يبالغ في دقة المواعيد وهو شديد الحرص على بروتوكولات الجلسات فإن جلس أمام محدثه لا يضع الساق على الساق ولا تلهو أصابعه بقلم أو ورقة بل يطلب من سامعه أن ينظر إليه في عينيه فإذا تحدث تكثر في حديثه الاستطرادات والحادثة تذكره بأخرى واسم الشخص يذكره بأفعاله فلا يكاد ينهي حديثا إذا استرسل فيه.

يحب النكتة وهو فذ في تحويل اهتمام سامعه من موضوع إلى آخر وغالبا ما ينقلب الهزل عنده إلى جد... وهب مكتبته إلى كلية الآداب بمنوبة ووهب مخطوطات نادرة إلى الأرشيف الوطني ووهب كتبا أخرى إلى جمعية صيانة مدينة قفصة ووهب بعض إنتاجه إلى مكتبات المعاهد الثانوية... فكان كمن أهدر ثروة عمره عن قصد وطواعية.

رغم تقدمه في السن فإنه يتمتع بذاكرة لا تضاهى وهو عارف بالخذالات المثقفين وبأسرارهم وطالما هدد بكتاب "التاريخ السري للثقافة" والناس في حيرة من أمرهم بين باحث عن الكتاب وبين سائل عن تاريخ صدوره... وكأن لسان حالهم يقول ترى هل يذكرنا بخير أم بأفعالنا التي فعلنا؟ وفاتهم جميعا أنه سرّب بعض فصول هذا الكتاب في كتب هي بين أيديهم ولكن... لا يقرؤون.

أبوالقاسم محمد كرو صعب المعاشرة لأنه يقول كلمته دون تلميح ويصرح برأيه دون هوادة فإذا ظننت أنه قال كل شيء أدركت أنه يخفي الأدهى والأمر.

مناضل ثقافي، صعب المراس، شديد على الجهلة، حريص على المواعيد، دقيق في اختيار الكلام، في فمه ماء، كما يحلو له أن يقول عن نفسه، ولوع بتاريخ ما أهلمه التاريخ، عرّف بالأعلام والمعالم وأسس الملتقيات والندوات، بلغت كتبه زهاء الثمانين كتابا ولم يكل ولم يمل "وفي نفسه شيء من حتى...".

نال جميع الأوسمة الثقافية والجوائز التقديرية كانت آخرها جائزة المغرب العربي (2003) التي توجت مسيرته واعترفت بجهود بذلها في سبيل بلاده – أمد الله في أنفاسه- ولا يزال يخفي المفاجآت التي لا يعملها أشد المقربين لديه.

محمد الصادق الرزقي

[1874ـ 1939]

اسمه الكامل محمد الصادق بن محمد البشير بن عبد الله الرزقي ولد بتونس العاصمة بنهج سيدي منصور سنة 1874 وتوفي يوم الجمعة 22 ديسمبر 1939.

هو أبرز أعلام الصحافة في ثلاثينات القرن العشرين وهو من أشهر رجالات الفكر والأدب.

هو رائد من روّاد السّرد، إذ تنسب إليه كتابة أول رواية تونسية بالمفهوم الدقيق لكلمة رواية بل إن تلك الرواية : أعني "القارة المفقودة او فتاة البحر" هي من قصص الخيال العلمي فهو بذلك رائد بأتم معنى الكلمة.

كتب قصة الساحرة وهي من علامات ريادته وقد كان له بذلك الدور الفاعل في ثقافتنا ولو كفاه ذلك لكان جديرا بأن يكون رمزا من رموز الثقافة الوطنية.

وأدباء اليوم لا يعرفون الكثير عن هذا العلم المنسي بل من يعرفه منهم فإن معرفته لا تتجاوز العلم بأنه مؤلف كتاب "الأغاني التونسية" واكتشفنا سنة 2003 بأنه قد ألف كتابا آخر عنوانه "الأمثال العامية التونسية وما جرى مجراها" الصادر عن دار سحر للنشر وقام بتحقيقه ابن أخيه الباحث الدكتور محمد

الطاهر الرزقي. والصادق الرزقي لمن لا يعرفه هو صحافي أسس في بداية حياته مجلة اسمها (العمران) وصدر أول عدد منها يوم 21 أفريل 1921 وآخر عدد منها كان يوم 6 ماي 1921 ولما انقطعت أصدر جريدة إفريقيا التي كتب فيها الطاهر الحداد عدة مقالات حول الحزب الدستوري وجامعة عموم العملة وقد انقطعت هذه الجريدة عن الظهور يوم 25 ماي 1925 على إثر صدور مقال لأحمد توفيق المدني يتحدث فيه عن حرب الريف بالمغرب الأقصى.

بقي الصادق الرزقي يواصل الكتابة في الصحافة وينشط في الجمعيات المسرحية ومن المسرحيات التي شارك فيها نذكر "عطيل" و"شهداء الغرام" و"عائدة" و"مكر النساء" و"الانتقام" و"صلاح الدين الأيوبي" وقد كان الرزقي يقوم بالتمثيل والتلقين في الوقت نفسه.

أصدر من الكتب إلى جانب ما ذكرنا سابقا كتابا عنوانه: "الإسلام" صدر سنة 1929 وله كتاب مخطوط حول "طرق تربية النحل" إلى جانب العديد من المقالات المنشورة في مجلة العمران وجريدتي إفريقيا والنديم أو في التقويم الذهبي التونسي وبعض النصوص الأخرى التي حققها ابن أخيه وصدرت في المجلة الصادقية.

كل هذا يدعونا إلى لفت النظر إلى جهود الرجل والمطالبة بإعادة طبع أعماله والتذكير بجهوده وما بذله بإخلاص وعناية بما يقدر أن يقدمه المثقف في عصره وما كتبه التي تناولت الذاكرة الجماعية "كالأغاني" و"الأمثال" إلا فرصة قد قدمها لنا لنعرف بعض ذاكرتنا ونطل على جزء من تراثنا قصد مساءلته والتعرف إليه ولم لا التفكير في إصدار أعماله الكاملة.

الجيلاني بلحاج يحيى
[عاشق الجزيرة]

هو من إخوان الصفاء وخلان الوفاء، إذ لا يمكن أن تتحدث عن الجيلاني بلحاج يحيى دون أن تذكر: محمد الصالح المهيدي ومحمد المرزوقي وحمادي الساحلي ومحمد العروسي المطوي ومحمد اليعلاوي بل حتى عبد الواحد ابراهم وحامد العجابي...

قل وندر أن تعثر عليه وحيدا سواء في نادي الخميس بمكتبة العسلي الكائن مقرها بنهج جامع الزيتونة أو في مقر جمعية قدماء الصادقية أو في جمعية المعجمية أو في نادي أبي القاسم الشابي أو في المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية..

يحب الأدب الساخر ويجمع النكت وطرائف العرب وله على كل حكاية طرفة إذ يحب الأنس في المجلس إلى حد أنه ألف كتابا أطلق عليه اسم "الجليس الأنيس".

ومن هنا تفهم سرّ اشتراكه في تأليف عديد الكتب سواء مع محمد المرزوقي أو مع محمد العروسي المطوي أو مع حمادي الساحلي وبعد أن توفى الله كل هؤلاء شرع في التأليف وحده فصرف جهوده إلى الكتابة عن جربة وأعلامها حيث ألّف عن

"البشير الفورتي" و"سليمان الجادوي" واعتقد أن له تآليف أخرى حول أعلام أخر من جربة جزيرة الأحلام.

أمضى باسم مستعار هو "ابن الجزيرة" وأهدى مكتبته إلى مسقط رأسه "جربة ميدون".

تعرفت إليه سنة 1999 في المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية الكائن مقره آنذاك بجهة المنار وكانت محاضرته حول الطاهر الحداد فنشبت بيننا خصومة وسرعان ما تكونت بيننا صداقة حميمة فأهداني بعض مؤلفاته وأهديته بعض مؤلفاتي إلى أن جاءت سنة 2003 عندما شرعت في تأليف كتاب حول المرحوم محمد الصالح المهيدي فوجدته يمدّ لي يد المساعدة وزودني بصورة نادرة هي إلى اليوم عندي – لم أرجعها له- وهي تمثل موكب دفن المهيدي رحمه الله.

رجل بشوش، لطيف، طريف، كيّس، ليس في قلبه أحقاد، تراه ممسكا بعصاه ذات الرأس المطلي بالفضة، يجالس الكبير والصغير ويستمع لهذا وذاك، مبكار لا يظهر إلا في الصباحات وإن حصل ورأيته في ندوة أو لقاء ذات مساء فاعلم أنه يرافق شخصا من الذين ذكرت في البداية.

ألف ووثّق وحقّق وساهم في تأليف معجم لغوي عنوانه، "الألفبائي" وأخرج بعض مؤلفات محمد بن عثمان الحشايشي كـ"جامع الزيتونة" و"العادات والتقاليد التونسية".

يعتبر الجيلاني بلحاج يحيى من جيل بدأ يرحل عنا – للأسف- ولم يبق من ذلك الجيل سوى البعض القليل نرجو من الله أن يمدّ في أنفاسهم حتى تنتفع الأجيال بعطائهم الزاخر.

رغم تقدمه في السن فإنه ممتلئ بروح الشباب ومحب للحياة ومتعها فأصدقاؤه من الشيوخ ومن الشباب على حدّ سواء.

لم ينل ما نال جيله من الأوسمة والجوائز والتكريمات ولكنه نال حبّ الناس وتقديرهم وأعماله تدلّ على قيمته ومكانته في الثقافة التونسية.

إن الأستاذ الجيلاني بلحاج يحيى هو أحد رموز الثقافة التونسية وأحد أعلامها وهو جدير بالإكبار والاحترام لقاء جهوده وخدماته التي قدمها للثقافة والأدب والفكر.

أطال الله في عمره ومتّعنا بتحفه الأدبية وإسهاماته المتميزة.

نسيت أن أذكر أن الأستاذ علي مصطفى المصراتي قد زارنا منذ أيام وسألني عن مؤلف حول "سليمان الجادوي" فأهديته الكتاب الذي ألفه بلحاج يحيى عنه كتحية مني لكل الذين ذكرت جميعا وعلى رأسهم الأستاذ الجيلاني.

العالم العامل
محمد صالح بن عمر

لا أعرف جامعيا تونسيا عشق الأدب التونسي مثلما عشقه الدكتور محمد صالح بن عمر.

نشر مجموعة من الدراسات النقدية في كتاب وسمه بـ: "أشكال القصة الجديدة في تونس" وهو لا يزال طالبا في السنة الأولى من التعليم العالي. كان أحد أركان حركة الطليعة الأدبية بل إنه يعتبر نفسه عمادها الأساسي إذ قال لي في حوار أجريته معه إن مغادرته العاصمة هو الذي جعل حركة الطليعة تنتهي؟

ما كتبه الدكتور محمد صالح بن عمر من مقالات بأسماء مستعارة يفوق ما كتبه من مقالات بإمضائه الصريح... كان أول من جعلني أحاضر إذ أسجّل للتاريخ أن أول محاضرة قدمتها في حياتي كانت بفضله وتشجيعه.

يحب المعارك الأدبية ويعشق تحريك الساحة الثقافية وكان سببا في تشريك العديد من الجامعيين في الندوات والملتقيات.

حاضر في القصة والرواية والشعر والنقد الأدبي والنقد الثقافي وكتب في المجلات المحكّمة وفي الجرائد اليومية والأسبوعية والشهرية وفي المجلات الفصلية وفي الحوليات.

لم يلتجئ أديب مغمور إلى محمد صالح بن عمر إلا ودافع عنه وسعى إلى التعريف به وفرضه في الملتقيات والندوات تجرأ ونشر محاضراته وما لم ينشره الكثير والكثير إذ هو من طينة العاملين في الأرض... يقرأ الأطروحات ويؤطر الطلبة ويناقش في منابر الجامعة ويدرس ويحاضر في مناطق الظل ولا يبخل باسمه أو صفته على جهة أو ملتقى في طور التكوين ليحاضر فيه عن الأدب التونسي.

سافرت معه مرارا وتكرارا إلى أقصى الشمال وإلى أقصى الجنوب فكان لا يستنكف من السفر مع الشعراء والقصاصين في الحافلات وسيارات الأجرة فتراه يمسك محفظة بيمينه وقارورة الماء بيده اليسرى ليطفئ بها آلام مرض الكلى ورغم ذلك فإنه لا ينفك عن الضحك والابتسام ومجاملة الشعراء والقصاصين والروائيين.

كتب في الصباح والعمل والفكر والرأي والمسيرة والملاحظ والشروق والصحافة والحرية والشعب والصدى والمسار والحياة الثقافية ورحاب المعرفة وعلامات وفصول وحوليات الجامعة التونسية والعشرات من الجرائد والمجلات.

ألّف أكثر من عشرة كتب انصرفت أغلبها في النقد الأدبي وألف الأنطولوجيات والمختارات وحرّر في الموسوعات والمعالم وانضم إلى العديد من الجمعيات الأدبية والثقافية والعلمية.

جهود محمد صالح بن عمر في الثقافة التونسية لا يمكن إحصاؤها وأعماله وآثاره لا يمكن تحديدها وله معرفة بتاريخ الحركة الأدبية والثقافية لا تتوفر لغيره من أساتذة الجامعة التونسية.

لم ينل في حياته جائزة أو وساما ولكنه نال حبّ المثقفين وتقديرهم لجهودهم.

أذكر أن عبد الله مالك القاسمي قال له مرة: لقد كتبت حوالي ثمانين مقالا ضدّ محمد صالح بن عمر ومع ذلك فإنّي أحترمه كما لا أحترم غيره. فقط لأنه لا يكتب إلا عن الأدب التونسي ولو كتب عن المشارقة لكان نجما من نجوم الملتقيات والندوات العربية.

من يعرف الأستاذ الدكتور محمد صالح بن عمر لا يملك إلا أن يحبه فهو مثال للعالم العامل.

محمد الخضر حسين
[1876ـ 1958]

عند حلول شهر فيفري القادم يكون قد مرّ نصف قرن على رحيل الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق التونسي والنشأة والتكوين. ولا أعرف إن كانت قد أعدّت العدّة للاحتفال بهذا العلم أم أن ذكرى وفاته ستمرّ مرور الكرام؟

ولد محمد الأخضر بن حسين الذي صار يدعى محمد الخضر حسين في نفطة يوم 26 جويلية 1876 كما أثبت ذلك الأستاذ أبو القاسم محمد كرو في أول كتاب وضع عن حياته وآثاره.

قدم الخضر حسين إلى تونس سنة 1888 وانتسب إلى الجامع الأعظم ليدرس على صفوة من كبار التنويريين التونسيين أمثال عمر بن الشيخ وسالم بوحاجب... وينال شهادة التطويع.

أصدر فيما بعد أول مجلة تونسية وهي السعادة العظمى وكان ذلك سنة 1904 حيث صدرت نصف شهرية وتتالى ظهورها لمدة عام كامل وليت هناك من الناشرين من يتصدى لإعادة نشرها وإخراجها فهي تعكس الأجواء السائدة ونمط التفكير ببلادنا في أوائل القرن العشرين في سنة 1905 أصبح قاضيا شرعيا ببنزرت وفي جامعها الكبير الذي يسمى اليوم

"جامع الربع" تولى الخطابة والتدريس حيث كان ذلك الجامع يمثل الفرع الزيتوني بالجهة.

استقال الشيخ الخضر حسين من كل هذه الوظائف وعاد إلى العاصمة حيث كلّف ضمن لجنة لوضع فهارس مكتبة الجامع الأعظم وأصبح من مدرسي الطبقة الثانية وبذلك أصبح أحد مدرسي المدرسة الصادقية ثم انتدب للتدريس في الخلدونية بل جمع بين التدريس في الزيتونة والصادقية والخلدونية في آن واحد.

اضطرته أسباب يطول شرحها إلى الهجرة إلى الشرق فاختار دمشق حيث عرف السجن هناك وبعد خروجه منها سافر إلى الأستانة للعمل في وزارة الحربية معربا ومنها سافر إلى ألمانيا ثم عاد إلى الأستانة ثم إلى دمشق مرة أخرى ليفر منها إلى مصر حيث استقر به المقام فعمل مصححا بدار الكتب المصرية فكاتبا في الجرائد والمجلات فمؤسسا لجمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا سنة 1923. اشتهر بعدها برده على كتاب علي عبد الرازق "الإسلام وأصول الحكم" وكتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين ثم نال شهادة العالمية إلى أن عيّن سنة 1952 شيخا للأزهر فكان أول عالم غير مصري يتولى هذا المنصب ولازم هذا المنصب إلى حدود جانفي 1952 حيث قدم استقالته وخلد إلى الراحة إلى أن توفاه الله سنة 1958 ودفن في تربة آل تيمور.

وفي كل هذه الحياة المليئة بالمتاعب والنضال والغربة والسفر ألف عشرات الكتب التي تعدّ من أهم المراجع في التديّن وقضايا العصر.

كل هذا جعل منه شخصية فذّة مثيرة للانتباه وجديرة بالدراسة والعناية وهو ما يجعلنا ننبه إلى ضرورة الاحتفاء به

بمناسبة مرور نصف قرن على وفاته وإن ذلك ليُعَدّ من الواجبات البسيطة تجاه هذا العلم العامل العالم الذي تعده تونس من مفاخرها ومنارة من مناراتها الفكرية والأدبية والثقافية.

فأرجو ألا تفوت ذكراه في صمت.

محمد العروسي المطوي

[1920-2005]

وهبته المطوية اسمها فوهبها مكتبة عمره، استطاع بذكائه أن يجمع حوله الأدباء والكتّاب وافتك منهم صفة شيخ الأدباء رغم أنها أطلقت على شيخه محمد العربي الكبادي قبله.

أسس نادي القلم فحوّله إلى منبر للجدل والنقاش والتكريم وجمع فيه الزيتوني مع المدرسي والعالم مع المتأدّب. كتب الشعر والقصة والبحث والمقالة وحقق واهتم بالأدب فصيحا وعاميا. وأسّس نادي أبي القاسم الشابي بالوردية وعنه تفرّع نادي القصة. لم يصرف حياته للأدب وحده بل تقلب في وظائف عدّة ومن بينها الأعمال الديبلوماسية والبرلمانية ورئاسة اتحاد الكتاب التونسيين.

درس في الجامع الأعظم ثمّ درّس فيه وكتب في عديد المنابر الأدبية والثقافية كتونس المصوّرة والمجلة الزيتونية والأسبوع والنهضة والزهرة والرقيب والحرية ولواء الحرية والعواصف والصباح والعمل والندوة والفكر والشعب وقصص والمسار والحياة الثقافية.

تولى جمع مواد الجزء الثالث من كتاب "ورقات" للعلامة حسن حسني عبد الوهاب ثم تولى إعداد كتاب العمر صحبة الأستاذ البشير البكوش وكان ذلك تتويجا لمسيرته وأعماله.

أذكر أنني كتبت مقالا حول كتاب العمر وفيه ذكرت ما قيل لي... فلم يعجب ذلك أستاذنا الشيخ محمد العروسي المطوي... وذات صباح هاتفني فخلت أن يفاتحني فيما كتبت ولكنه قال لي – رحمه الله – لم لا تزورني في منزلي إني أرغب في التعرف إليك... فلما زرته خلت أن يفاتحني فيما كتبت... فقال لي هل أنت من المطوية؟ قلت: لا. قال: أنا من الماية ولقبك هذا موجود في المطوية والمنستير وجربة وبما أنك من أهل الأدب والثقافة حسبتك من الجنوب.

أهداني رحمه الله بعض كتبه وقصيدة بخطّه وكرّاسا جمع فيه بعض الأمثال العامية عنوانه "قال الأولون..." كان يعتزم نشره في كتاب يجمع فيه الأمثال العامية وذلك الكراس إلى اليوم هو عندي من الوثائق النادرة والذكريات العزيزة.

كنت من بين الذين سافروا إلى المطوية يوم دفنه فكان ذلك اليوم طالع خير عليّ... كانت جنازته مهيبة فقد كرّمته المطوية كأفضل ما يكون التكريم حيث أطلق اسمه على الشارع الذي يقع فيه منزله.

أغرب ما يفلت النظر في بعض إنتاجه أنه ألّفه بالاشتراك مع أشخاص آخرين... وخاصة بعض قصص الأطفال التي تتجاوز صفحاتها العشر.

كانت هوايته الصمت والتأمل وكان رمزا لاحتضان الأدباء والقدرة على امتصاص غضبهم.

رحم الله الأستاذ محمد العروسي المطوي فقد كان مثالا للأدب والثقافة.

الحبيب جاء وحده

[1901ـ 1967]

عندما يتحدث النقاد عن شعراء القيروان يذكرون الحليوي ومحمد الناصر الصدام ومحمد مزهود القيرواني والشاذلي عطاء الله ولا يذكرون الحبيب جاء وحده والحال أن هذا الأخير يتفوق على بعض من تقدم ذكرهم والسبب في ذلك أن صورة المناضل هي الطاغية على الشاعر وربما نضيف سببا آخر هو تفرق أشعار "جاء وحده" في جرائد مختلفة لم يعرفها الجيل السابق وحتى اللاحق.

ولهذا الرجل العلم قصة غريبة وعجيبة فقد درس في بداية حياته في مسقط رأسه بالقيروان إلى أن أحرز الشهادة الابتدائية سنة 1916 ، التي أهلته إلى الالتحاق بالمعهد الصادقي وهناك درس مدة خمس سنوات أي إلى حدود سنة 1921 حيث أصبح معلما للغة الفرنسية بالمدرسة العرفانية التابعة للجمعية الخيرية الإسلامية الكائن مقرها بباب سويقة ودامت مدة تدريسه هناك حوالي أربع سنوات حيث انضمّ إلى حركة محمد علي الحامي لتأسيس جامعة عموم العملة التونسية وكان أحد أبرز عناصرها، إذ آمن بالعمل النقابي وبالنضال في صفوف الوطنيين.

في سنة 1925 وبعد القضاء على حركة محمد علي قرر السفر إلى مدينة (ايفرو) بفرنسا لاستكمال دراسته العليا فاختار

الطبّ وتخرّج طبيبا ثم اختار أن يحول وجهته إلى الصيدلة فنال ديبلوم تلك المهنة وعاد إلى تونس ليشارك أعضاء الحزب الدستوري الجديد النضال.

فتح صيدلية في ماطر ثم تحول بها إلى بنزرت وظل الحبيب جاء وحده ينظم الشعر طيلة أربعين سنة غير أن شعره على كثرته تلاشى واندثر وقد فسّر ذلك بقوله "ضياع الكثير من شعري نتيجة الإهمال والتلف الذي أصابني، فقد تنقلت كثيرا وفي هذه التنقلات ضاعت أوراقي وأحرق جلها في بنزرت، إن اللفيف الأجنبي أضاع كثيرا من شعري ولم يبق لي إلا القليل النادر".

ويذكر الحليوي في كتابه في الأدب التونسي قولة قالها جاءه وحده عن سبب امتناعه نشر شعره فيقول: "فإذا قلت له وأين هذا القليل؟ هاته لنشره، أجاب: القليل الذي تبقى من شعري دعه يحيا في قلبي وبين جوانحي فأنا أحب العزلة وأنشد الصمت وهو مذهب أعتنقه من قديم".

ولئن أحجم المناضل والشاعر الحبيب جاء وحده عن نشر شعره فإن ذلك لا يعدّ سببا موضوعيا في السكوت عن شاعر وحذفه من قائمة الشعر التونسي فقد توفاه الله منذ سنة 1967 ولم نسمع أن جهة أحيت ذكراه وعملت على إحياء أدبه والتعريف بشخصه ونضاله ولم نقرأ سوى بعض مقالات كتبها الحليوي في كتابه المذكور أو ما ذكره محمود شمام في أحد أعداد مجلة الهداية أو ما أورده رشيد الذوادي في كتابه الأخير "بنزرت تحكي".

نأمل أن يتصدى باحث أو موثق لجمع شعره والتعريف بجهوده بوصفه وطنيا مخلصا وشاعرا حقا أغفلته الذاكرة.

سعيد أبو بكر
[1899ـ1948]

يعتبر سعيد أبو بكر من شعراء الثلث الأول من القرن العشرين وأحد رموز التجديد الأدبي في تونس وهو إلى كلّ هذا قد تميّز بمواقفه الوطنية الشجاعة. هو أصيل مدينة المكنين المعروفة بنضالها اشتغل سعيد أبوبكر كاتبا لدى راجح إبراهيم الأكودي المحامي وراجح إبراهيم هو الذي نشرت له جريدة النديم مقالا عنوانه "كلمة في كتاب" وهذا المقال يمتد على ست صفحات كتبه للردّ على الطاهر الحدّاد عندما أصدر كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" (1930). وقد ختم راجح إبراهيم كتابه بالمقولة الشهيرة "هذا ولمّا أتشرف بعد بتصفح الكتاب فقد وصلتني نسخة منه وسأشرع في قراءته" ثم وقع تحريف هذه الكلمة فأصبحت "خذ هذا على الحساب قبل أن أقرأ الكتاب" ونسبت باطلا إلى محمد صالح بن مراد.

ومعنى هذا أن راجح إبراهيم هو رجعي إذا قارناه بالطاهر الحداد والشابي وسعيد أبي بكر نفسه الذي كان يشتغل عنده كاتبا.

ذلك أن سعيد أبي بكر من أنصار حرية المرأة وإن لم نقرأ له مقالا يؤيد الحداد فشعره يكاد يكون مؤازرة لدعوة الحداد في تحرير المرأة.

وقد كان سعيد صاحب رأي حرّ وشخصية حادّة إذ نشبت بينه وبين زين العابدين السنوسي معركة رغم أن هذا الأخير قد أفرد له فصلا في مختاراته الشعرية التي عنونها بـ"الأدب التونسي في القرن الرابع عشر".

وقد كان سعيد من الأدباء الذين يقرأ لهم حسابا إذ بعد عودته من إسبانيا أقام له الأدباء احتفالا كبيرا شارك فيه بالكلمة العديد من كبار الأدباء والصحافيين في تلك الحفلة ونشرت صورة التكريم في أحد أعداد جريدة النديم وظهر فيها حسين الجزيري والبشير الفورتي والصادق الرزقي والبشير الخنقي وزين العابدين السنوسي... الخ وهم يحيطون بالمحتفى به وهو ما يؤكد مكانته بين أدباء عصره.

أصدر سعيد رحلاته تلك في كتب هي في حكم النادرة اليوم إلى جانب ديوانه "السعيديات" الذي أعيد طبعه.

ونظمت جهته "المكنين" ملتقى يحمل اسمه وكان الملتقى يعقد كل سنة غير أنه اختفى دون موجب رغم أنه من الملتقيات الناجحة إذ أصدر كتبا تتضمن محاضرات حول سعيد أبي بكر وتجد في دائرة المعارف الإسلامية ترجمة لسعيد أبي بكر أعدها بالفرنسية الأستاذ الحبيب الشاوش لأن هذا الأخير أصيل المكنين.

ونستغل هذه المناسبة لننادي بضرورة طبع أعمال سعيد أبي بكر المتفرقة في الجرائد والمجلات أو حتى المطبوع منها أن يعاد طبعه بما يليق بمكانة الرجل في تاريخ الحركة الأدبية والثقافية إذ لا يمكن أن نغفل دوره الوطني والثقافي.

عبد الحميد خريف

هو سليل عائلة خريف التي انحدر منها البشير خريف ومصطفى خريف وقبلهما إبراهيم خريف. فارقنا رحمه الله في وقت لم نكن نظن فيه أن "حميدو" سيفارقنا.

كتب الشعر والمسرح والمقالة الأدبية والنقد الاجتماعي والثقافي.

شخصيته طريفة إذ يكره التكلّف والنفاق ويحبّ الجرأة والصراحة.

أحبّ "حميدو" – رحمه الله – الشخصيات البوهيميّة ولم يكن بوهيميا، إذ كان يجالس أصدقاءه إلى مطلع الفجر وفي الصباح تراه في مكتبه بوزارة الإعلام – قبل زوالها – فإذا بك ترى شخصا غير الذي كان يسهر معك إلى طلوع الفجر.

رافقته في العديد من الملتقيات والأمسيات والندوات وكنت أرى فيه أكثر من شخص حتى تحتار في أمره وتستغرب سلوكه.

يحب حياة البدو والصحراء ويعيش على طريقتهم في العاصمة ويلبس لباسهم بل يصرّ أن يظهر في سانحته الأسبوعية "نسمات الجنوب" وهو يرتدي شاش/ عمامة الجريدية، وجه أسمر، نحيل، تميزه، شواربه الكثة وشعر رأسه الكثيف.

عالم عليم بأحوال الأدباء والكتاب ولا يكتم رأيه في زيد أو عمرو وقد جنى عليه ذلك جناية كلفته ما كلفته.

عشق الشعر والأدب وأخلص للحرف والكلمة ولم يجن في حياته أكثر من حب أصدقائه له.

توفي عبد الحميد خريف في أوج كهولته ولولا ما فعله صديقه الشاعر محمد الطاهر الحضري من أجله لما جنت عائلته من شعره وأدبه غير الفقر والحرمان، قيض الله له صديقا مخلصا يحقق له أملا لم يستطع تحقيقه في حياته.

خاض عبد الحميد خريف في حياته العديد من المعارك الأدبية ولم يخرج منها منتصرا ولكنه في مقابل ذلك جنى حبّ أصدقائه ومن فهم توجهاته وأفكاره.

لم أكن أحسب أنني سأكتب عنه وقد فارقنا لأن فراقه كان صدفة خلفت مرارة في قلوب كل من عرفوه عن قرب.

لم يكن حقودا بل كان محبا للناس والحياة على قدر السواء.

ليت هناك من يتصدى لجمع مقالاته وما تبقى من تراثه متناثرا هنا وهناك في الجرائد والمجلات لأن ما نشر من كتب في حياته لا يعطي صورة صادقة وجلية عن الراحل عبد الحميد خريف فقد كان غزير الإنتاج تطالع له مقالا يوم الخميس في الملحق الثقافي لجريدة "الحرية" وتطالع له مقالا آخر يوم الجمعة في جريدة الحدث ولا تستغرب أن تطالع له قصيدة في مجلة المسار أو الحياة الثقافية أو في مجلة جهوية.

رحم الله عبد الحميد خريف الذي فارقنا وكنا نظن أن الطريق مازال يمتد بنا.

الهادي العبيدي
عميد الصحافيين التونسيين
[1911_1985]

هو شاعر وزجّال ومترجم وقصّاص ومحاضر وأديب وصحافي قبل كل ذلك وبعده.

كان من أبرز مناصري الطاهر الحداد فخطب في حفل تكريمه بالكازينو البلدي بالبلفيدير وكتب في الجرائد مدافعا عنه ورثاه قبل أن يوارى جسمه التراب بقصيدة من أروع ما قيل في الشعر التونسي. بل إن الأستاذ الهادي العبيدي سبق الحداد في الدعوة إلى تحرير المرأة بكتابة سلسلة من المقالات صدرت سنة 1927 في جريدة الصواب.

هو أحد أفراد جماعة تحت السور بل كتب عنهم واحدا واحدا ووثق لسلوكهم وأفعالهم حيث تحدث عن كرباكة والعريبي وابن فضيلة والدوعاجي ومحمود بورقيبة وعلي الجندوبي ومصطفى خريف.

كتب عنه صديقه الدوعاجي في جوان 1946 مقالا في جريدة "الأسبوع" فمن بين ما جاء في قوله عنه :

"... يعمل بكل نشاط في المؤسسات ويضحّي بإنتاجه وأوقاته وتعاليقه ما دامت تلك المؤسسات عقيمة لا ترجى منها فائدة مادية أما إذا نجحت وأتت أكلها وأعانتها الحكومة وأقبل عليها

الشعب تركها وذهب يفتش عن جمعية أخرى – لا كاسة لها- إلا اشتراكات أعضاء المجلس فيجلس بينهم يشير ويوزع الأعمال على أمل مبارحتها في الإبّان".

كتب الأستاذ الهادي العبيدي في الصواب والزمان والعالم الأدبي والسرور والسردوك والوطن والمباحث والحياة والزهرة والثريا والأسبوع والأفكار...

ويكاد لم يترك جريدة أو مجلة إلا وكتب فيها وأنال أوراقها من حبر أقلامه بل إنه أصدر "الصريح" عام 1949 و"الفرززو" عام 1955.

ترجم المسرحيات واقتبس بعضها بل مثّل في بعض الفرق المسرحية وكان له دور البطولة فيها.

قامت على كاهله جريدة الصباح وتخرجت على أيديه الأجيال هم اليوم فرسان الكلمة والقلم ومن نجوم صاحبة الجلالة.

أنجزت حوله الأستاذة وحيدة المي أطروحة في معهد الصحافة وعلوم الإخبار وكتب عنه العديد من محبيه المقالات الطوال ورغم ذلك فإننا نراه لم يأخذ ما يستحقّ، إذ لا أعرف لماذا لا يطلق اسمه على نهج فرعي من أنهج علي باش حامبة كتحية له وهو الذي أفنى عمره في خدمة السلطة الرابعة.

إن الأستاذ الهادي العبيدي حقيق أن يكرّم وجدير أن ينال ما يستحقّ فأثاره إلى اليوم قائمة وبصماته إلى اليوم ظاهرة وأخشى ما أخشاه أن ينسى في غمرة من تناستهم الأجيال رغم جليل الأعمال والأفعال.

زين العابدين السنوسي
[1898-1965]

هو أحد الذين هضمنا حقهم... هو الذي تيّمه حبّ تونس فوسم جريدته باسمها. هو الذي لولاه لما كان الشابي إذ أرغم حسين الجزيري على نشر قصائد الفتى الذي أكثر عليه بالرسائل ولم تستسغها ذائقته.

أصدر السنوسي أهم مجلة أدبية في تاريخ تونس وسمها بـ"العالم الأدبي"، آمن بالحدّاد وطبع كتابه الذي أرّخ للحركة النقابيّة ولولا ذلك الكتاب لما عرفنا عن تاريخ تلك الحركة ولا عن محمد علي الحامي أي شيء يذكر.

كتب كتابا عن الدستور التونسي وآخر عن بيرم الخامس وآخر عن ابن خلدون وآخر عن ابن حمديس.

كتب عن "أنموذج الزمان"... ووثق في كتابه الأشهر "الأدب التونسي في القرن الرابع عشر" لشعراء تونس فترجم لهم وأثبت صورهم وأشهر قصائدهم.

سجن ونفي ولاقى ما لاقى من أجل تونس وعرّف بأدبائها وبحضارتها وبتاريخها... وهب حياته للعمل والعطاء وآمن بالتجديد وشجّع منارات تونس الفكرية والأدبية وتجرّأ عندما أحجم من أحجم وتراجع من تراجع.

حرّك الساحة الأدبيّة بمعركة الشعراء الثلاثة وأفرد أعدادا خاصة من مجلته لذكرى الشابي وأحمد شوقي وجميل صدقي الزهاوي... فكانت مجلة "العالم الأدبي" ملتقى للثقافة التونسية والعربية وما ذكرنا هو بعض من كثير لا حصر ولا عدّ له من حسنات هذا الرجل المثقف والوطني الغيور فهو من له الفضل في انتشال منور صمادح وتغيير مجرى حياته وهو الذي نشر "جولة بين حانات البحر المتوسط" لعلي الدوعاجي وهو من نشر قصص وأقاصيص وريبورتاجات محمد العريبي وهو الذي ناصر الحدّاد ودافع عنه وأفضاله على حركة التجديد والتنوير في بلادنا لا يمكن أن تحصى أو تعدّ.

صادرت سلطات الاستعمار مجلته الفجر فعوّضها بالبدر فصادرت البدر فعوضها بالمقالات فصادرت المقالات فعوضها بالتقويم الاجتماعي... ولم يكل ولم يمل ولم تفتر عزيمته ولم ييأس ولم يتراجع.

ذلك هو زين العابدين السنوسي أصيل ولاية الكاف ووريث عائلة العلماء والأدباء وحافظ ذاكرة تونس الثقافية، تعرّض لمحن كثيرة ولمشاكسات عديدة ولكنه لم يتوقف بل واصل مسيرته يقول كلمته ويكتب رأيه.

كتبه تعدّ بالعشرات ومقالاته تعدّ بالمئات وما أحوجنا إلى جمع تراثه وتصنيف الكتب عنه وطبع أعماله الكاملة وإعادة طبع مجلته "العالم الأدبي" حتى تعرف أجيال اليوم ما قدم السلف وماذا تركوا للخلف.

إن التصدي لطبع أعمال زين العابدين هو واجب وطني وفعل تنويري بكل ما يعنيه مفهوم التنوير من معنى وإن وضع رخامة على مطبعته التي أصدرت روائع الأدب التونسي

والكائن مقرها الآن بنهج السيدة عجولة قرب ساحة القصبة لهو أقلّ ما يمكن تقديمه لهذا العلم الذي قدم ما يمكن أن يقدمه الوطني المخلص لوطنه.

حمادي الساحلي
الرجل البشوش
[1928_2002]

رحل عنّا فجأة – رحمه الله–.

ومن لا يحبّ حمادي الساحلي؟ رجل بشوش، أسمر اللون، ممتلئ البطن، له ضحكة متميزة وقبول قلّ أن يحصل لغيره. عرّب العديد من الكتب ذات الصلة بالتاريخ وبذل جهدا خارقا في تقديم مؤلفات المناضل الأكبر مؤسس الحزب الدستوري الشيخ عبد العزيز الثعالبي.

تعود صلتي به إلى سنة 1999 وتحديدا عندما قرّر المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية الاحتفال بمائوية الحداد وشارك في تلك الندوة الأستاذ الجيلاني بلحاج يحيى فقامت بيني وبين هذا الأخير معركة يومها – تحولت في ما بعد إلى صداقة– .

فكان المرحوم حمادي الساحلي ينظر إليّ شزرا فهو لا يعرفني ولم يستحسن ما بدر مني تعاطفا مع صديق عمره...

بعد ذلك أعاد إصدار كتاب "خلاصة تاريخ تونس" لحسن حسني عبد الوهاب وأهدتني دار الجنوب نسخة من ذلك الإصدار فكتبت مقالا في الملحق الثقافي لجريدة الحرية انتقد فيه

النقائص فإذا بالمرحوم حمادي الساحلي يهاتفني ذات صباح ليشكرني على مقالي ذاك وقال لي: إني أتفق معك في أغلب ما ذهبت إليه.

والمرة الثالثة كانت في نادي قدماء الصادقية حيث قدمت محاضرة عن الطاهر الحداد فاختلفت معه حول مسألة تتصل بالحداد فإذا به يقول لي: أنت تحبّ الحداد أما أنا فإني أحب التاريخ وأقدّر ما ذهبت إليه ولكن الحقيقة التاريخية غير ذلك.

هذا هو حمادي الساحلي الذي عرفته – رحمه الله – لا يستنكف من الاستماع إلى شاب ولا يرى مانعا في مناقشته ولا يتعالى ولا يتكبّر...

أعطى من وقته وجهده للمجلة الصادقية وناديها الذي كان لا يهدأ.

تراه ملازما للدكتور محمد اليعلاوي وللأستاذ الجيلاني بلحاج يحيى أحبّ الشيخ محمود شمام وكتب عن الصحافة الهزلية وأطنب في الحديث عن الحزب القديم ودافع عن الحزب الجديد. كان رحمه الله كهمزة الوصل بين الباحثين، كيّسا، لطيفا، متسامحا، لينا، هادئا، بشوشا، لا يعرف البغضاء والحقد والكراهية.

توفي رحمه الله وترك أعمالا قيد الإنجاز ولو امتد به العمر لألف وزاد.

وكرّمه نادي الصادقية بإقامة ذكرى وفاته وكرمته الجمعية التونسية للتراث والبحث في الفكر التونسي منذ أشهر قليلة وكرمه قبل ذلك المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية وهو جدير بكلّ تكريم لأنه كان مثال التواضع والأخلاق العالية.

ما أرجوه وأنا أكتب هذه السانحة عنه أن يتصدى ابنه الأستاذ محمد العزيز الساحلي إلى جمع أعمال والده وربما إعادة طبع البعض منها نظرا لفائدتها التي عادت – ولا تزال- بالنفع على الباحثين فأفضل ما يخلّد الذكر كتاب فيه علم ينتفع به الناس.

الشيخ العلاّمة
محمد الفاضل ابن عاشور
[1909-1970]

لولا كتاب "الحركة الأدبية والفكرية في تونس" للشيخ العلامة محمد الفاضل ابن عاشور لما علمنا شيئا يذكر عن التاريخ الثقافي التونسي.

هو من أبرز الخطباء الذين عرفتهم تونس، زيتوني، سليل عائلة عرفت بالعلم والأدب وتميّز رجالها بأنهم سدنة الجامع الأعظم، جامع الزيتونة المعمور.

كتب عن "التفسير ورجاله" فأحاط بما غمض وفسّر ما أشكل ووضّح ما لم يكن مبيّنا.

حاضر ودرّس وخطب وناقش وجادل وناضل ولم يكن النضال آخر خصاله بل كان أبرز مميزاته فهو أحد الذين ألقي عليهم القبض في مؤتمر ليلة القدر الذي عقده الحزب الدستوري ولولاه لما استطاع فرحات حشاد أن يؤسس الاتحاد العام التونسي للشغل فقد كان الشيخ العلامة محمد الفاضل ابن عاشور أول رئيس شرفي للاتحاد وبفضله استطاع حشاد أن يحشد به عموم العملة عندما عملت سلطات الاستعمار على إشاعة أفكار ضدّ الاتحاد وتنفير جموع الزيتونيين منه.

لم يكن الشيخ الفاضل إقليميا بل كان عروبي التوجه والثقافة ممتلئا بسماحة الإسلام وروحه التنويرية والتحررية فكتب عن القضية الفلسطينية وعن الجامعة الإسلامية وعن جامعة الدول العربية.

تولّى خطة الإفتاء فكان ذلك تتويجا لمساره العلمي فكان ذلك تتويجا لمساره العلمي والمعرفي وتولى عضوية المجمع اللغوي بالقاهرة فكان ذلك اعترافا بفكره وقوة تكوينه.

هذا بعض ما يجب أن يعرف عن الشيخ العلامة محمد الفاضل ابن عاشور الذي لم ينل ما يستحق من التبجيل والتكريم كأن يطلق اسمه على أكبر قاعة من قاعات الجامعة الزيتونية أو أن يطلق اسمه على بعض الأنهج وقاعات دور الثقافة وتقام له الندوات والملتقيات التي تعرّف بجهوده وأفكاره.

ولد الشيخ الفاضل ابن عاشور يوم 16 أكتوبر 1909 وبذلك سنحتفل بمائوية ميلاده فترى هل ستكون احتفالية تليق بمقامه أم ستمرّ كما مرّ غيرها من الذكريات...؟

إن الاحتفال بذكريات الرجال وتخليد جليل الأعمال هو دليل على تحضّر الأمم، فالثقافة بأعلامها ومن أعلامنا من يستحقّ التخليد والذكر حتى يعتبر اللاحق بما قدّم السابق ويدرك الغافل أن جهود الرجال لا تضيع سدى.

عبد العزيز العروي

[1898ـ 1971]

اشكي للعروي...

عبارة جرت على ألسن خلق الله في وقت لم توجد فيه الفضائيات ولم يكن فيه للفضائيات حظّا ولم يكن فيه للانترنات أي وجود... بل كان المذياع هو الأوحد والأفضل يتحلّق حوله الصغير والكبير للاستماع والاستمتاع، زمن كان فيه الإنصات سيد الموقف... فاشتهر فيه عبد العزيز العروي إلى أن غدا سلطة اجتماعية.

هو من مواليد المنستير عام 1898 ولكن لهجته العامية بلدية صرفة من "قاع الخابية" وهذا أول ما يلفت النظر في شخصيته الفذة.

صحافي كتب بالعربية كتب في جريدة النهضة سنتي 1927 و1928 وهو من أبرز الكتّاب باللغة الفرنسية حيث حرّر لسنوات في جريدة (البتي ماتان) وأصدر سنة 1930 (الهلال التونسي) حيث ناصر فيها الطاهر الحداد وفتحها منبرا مدافعا عن توجهات الأحرار الدستوريين مخاطبا المستعمر بما يفهم.

كاد العروي أن يحوّل اللهجة الدارجة إلى لغة لها نحوها وصرفها بعد أن استنطق بلاغتها وفتق عجمتها إلى أن أنطقها بأسرارها حتى صار من خلالها الفاتق الناطق.

كان أحد جماعة تحت السور ومنهم تعلم كيف يتحول الليل نهارا وكيف يلتقط النكتة ويحوّل الفذلكة إلى جنس أدبي.

التحق بالإذاعة التونسية منذ تأسيسها سنة 1938 وصار أحد أركانها وأحد أبرز مذيعيها فنجح في نقده الاجتماعي وأسماره التي لا تنسى حيث كان يقتبس من ألف ليلة وليلة ومن أغاني الأصفهاني حكايات ويلبسها لبوسا جديدا ليخلص إلى فكرة توجيهية أو إلى نصيحة اجتماعية تصلح من حال خلق الله.

"الجمل ضحك ضحكة" عنوان مسرحية من مسرحياته والمسرح الشعبي أثر من آثاره، كان العروي رحمه الله يعتبر الفن وسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي والنصح والإرشاد وكان يؤمن أن الأديب أو الكاتب الذي لا يستطيع أن يوصل أفكاره إلى عامة الناس هو من أعجز الناس على فهم رسالته.

انتقده بيرم التونسي في جريدة الشباب في ركنه الشهير "الأبطال بالريشة والقلم" وقامت بينه وبين محمد الصالح المهدي خصومة وتوطدت علاقته بالدكتور الطاهر الخميري وتزوج من شقيقة ابن تومرت – أعني محمد العريبي- .

كرمته مجلة الثريا سنة 1943 عندما كتب عنه في ركنها الأشهر "هل تريد أن تعرف" فقالت عنه من بين ما قالت: "شارب خفيف فوق شفتين بينهما سيقارة تدخن دائما وقرنفلة حمراء يقتطفها في كل صباح بمواظبة ليزيّن بها موضع الأوسمة. وطربوش ليس بالمائل ولا بالمستقيم وحرص قليل يبدو لك

عندما يخاطبك ليريد إقناعك وأناقة في الهندام وغور العنق بين الأكتاف. ذلك هو الأستاذ عبد العزيز العروي".

إن العروي جدير بالتكريم وأول واجباتنا نحوه هو إعادة طبع أسماره التي لم تظهر منها سوى خمسة أجزاء فلقد مثل في عصره طفرة فنية وأدبية وصحفية فعرف قدره في حياته وبدأ يتلاشى ذكره والخوف كل الخوف أن تكبر الأجيال القادمة ولا تعرف شيئا يذكر عن العروي.

البروفيسور المنجي الشملي
صاحب اللسانين

يحب أن يلقب بالبروفيسور منجي الشملي ويكره أن يلقب بالدكتور... وهذا أول ما يجب أن تعرفه عن البروفيسور الشملي.

هو من مؤسسي الجامعة التونسية ومن مؤسسي حولياتها عمل مع الشاذلي بويحيى - رحمه الله – سنوات انتظمت في صدورها أهم مجلة أصدرتها الجامعة التونسية. أسس مجلة "التجديد" ولم تعمر إلا سنة واحدة. أول من تحدث عن الأدب المقارن في تونس ثم تركه إلى غيره... وأول من تحدث عن ابن باجة ثم انصرف عنه... وأول من نادى بتسمية ناد ثقافي باسم الطاهر الحداد، هو صاحب اللسانين: العربي والفرنسي يحذق اللغتين حذقا قلّ من ينافسه في هذا الشأن... وله صوت إذاعي لا مثيل له... ورث عن مصطفى خريف وأحمد اللغماني برنامج "مع الأدباء الناشئين" واقترن فيه اسمه باسم السيدة هند عزوز فتخرجت على أيديهما الأجيال.

ومن يعرف البروفيسور الشملي يعرف أنه يحب النساء وهو ما يفسّر سرّ كتابته للعديد من المقدمات الشعرية والقصصية لأديبات وكاتبات من مختلف الاتجاهات. يعتزّ المنجي الشملي بأنه كان على رأس المعهد الأعلى للتربية ويعتز بأنه كان عضوا في المكتب التنفيذي في اليونسكو ممثلا لتونس.

يحبّ الشابي والطاهر الحداد وخير الدين التونسي ويحب طه حسين وجبران خليل جبران وغوته على حدّ سواء وأمتع ما يحدثك به البروفيسور الشملي هو زيارته لعميد الأدب العربي طه حسين وكيف استقبلته السيدة سوزان.

واعلم أن البروفيسور الشملي شديد الحفاظ على البروتوكولات وإيتيكات المعاملات من ذلك أنه إذا نادى باسمك يقول لك: يا سيد فلان.

لم يكتب كثيرا وإن أشار في أكثر من مرة أن له عشرات المصنفات التي تنتظر طريقها إلى النشر.

كرّمته العديد من الجهات الثقافية وأصدرت عنه الجامعة التونسية عددا خاصا من حولياتها بعد أن جعلته أستاذا غير قابل للتقاعد إذ هو أستاذ متميز.

يحبّ المستشرقين ويدافع عنهم ويعتبر أنهم قدموا خدمات جليلة للثقافة العربية الإسلامية وأشهر معاركه خاضها مع المستعرب جان فونتان، إذ جلست إليه فلا مناص من أن يربت على يديك ويغدق عليك من كياسته ولطافته ما يجعلك تتهيب الرجل... وتقرأ ألف حساب لغضبه.

هو من قصر هلال وشديد الاعتزاز بأصله وبتكوينه المدرسي فالجامعي وهو من أول الأقارجة (المبرزين) ومن آخر الجامعيين الذين يستحقون صفة الجامعي وتلك قضية أخرى... كما يحلو له أن يقول دائما.

شريفة المسعدي
"امرأة حرّة أبيّة كأرجل الرجال"
[1907ـ 1990]

قال عنها محمود المسعدي فيما قال: "امرأة حرة أبية كأرجل الرجال، وزوجة كريمة وفيّة كخير ندّ وخير عون ورفيق وخير نصف من حياة" تلك هي بعض صفات المناضلة النقابية والمربية الفاضلة شريفة المسعدي.

هي أول امرأة ترأست نقابة التعليم الفني والصناعي عندما كانت تلك النقابة لا تضم إلا الرجال فبرهنت على قدرة المرأة متى شاءت وأرادت أن تكون... فامتدت مسؤولياتها فيها حوالي عشرين عاما دون انقطاع من (1947 إلى 1967) "على أنها لم تلبث – في غضون ذلك كله- أن تبوأت أعلى مستويات المسؤولية النقابية حين انتخبت عضوة في الهيئة المديرة للاتحاد العام التونسي للشغل تحت قيادة فرحات حشاد أثناء المؤتمر المنعقد سنة 1949 (الذي ترأست إحدى جلساته) وقد حافظت على عضويتها تلك حتى سنة 1954. ولا يعرف تاريخ الكفاح الوطني – السياسي والنقابي معا- امرأة غيرها بلغت في الاضطلاع بالمسؤولية في أحرج الأوقات مثل هذا المستوى. وبصفتها تلك وعند انطلاق معركة التحرير سنة 1952 كانت

هي ونقابتها في مقدمة صفوف رجال التعليم الثائرين بالإضرابات وغيرها على الاستعمار.

حياتها سجلّ من الكفاح والنضال، رافقت المسعدي أديبا وسياسيا ونقابيا فلا نعرف هل كانت في حياته كميمونة أو كمياری أم هي بين هذه وتلك؟

وما يحسب لها في تاريخها هو ريادتها العمل النقابي فهي: "التي أرادت أن تكون — في حين لم تكن تساعد لا البيئة ولا العصر- ولكنها كانت فعلا أملأ كيانا وأحره وأثراه".

فكيف لا نحبها ولا نجلّها وهي التي استجابت لنداء الحداد فعملت وناضلت وتركت أثر العمل وأثر النضال... وقفت وسط الرجال وقالت إن تونس لا ترفع رايتها إلا بيد أبنائها رجالا ونساء.

وهي، فوق ذلك كله، إنسان بين الناس من أشعرهم ببطولة الوجود وأقواهم إيمانا بنبل رسالة في الحياة وأملأهم نفسا بالطمأنينة والرضى أثناء مغامرة الوجود الكأداء دون طمع في شكور أو جزاء أليست حرية بأن يطلق اسمها على قاعة من قاعات الاتحاد العام التونسي للشغل؟ أليست حرية بأن تكرم فيطلق اسمها على شارع يحمل اسمها؟

إنها مثال للمرأة التي نحب، وطنية، مناضلة، نقابية، مربية، فعلت كل شيء نبيل من أجل أن تكون فكانت.

أذكر أنني زرت الأديب الكبير محمود المسعدي قبيل وفاته صحبة الشاعر صلاح داود ليهديه كتابا ألفه عنه ففتحت لنا ابنتها الكبرى لندخل إلى منزل المسعدي وكل تفاصيل وجه الأم مرسومة على وجه البنت... وبينما كنا أنا وصديقي صلاح داود

في قاعة الجلوس ننتظر حلول الأديب الكبير بيننا لاحظنا صورة المناضلة شريفة المسعدي تحتل مكانا مرموقا إلى جانب صورة المناضل والأديب الكبير محمود المسعدي... ففهمت مكانتها في حياة أديبنا وتأسفت على عدم إدراج الأستاذ محمود طرشونة نصا بديعا كتبه المسعدي بنفسه في أعماله الكاملة رغم إلحاحي عليه مرارا وتكرارا؟

الناقد والمثقف التونسي
أبوزيان السعدي

مجلسه يدلّك على قامته

يمثّل الأستاذ أبو زيان السعدي أحد طلائع الجيل الأدبي الثاني الذي ظهر بعد الاستقلال. فقد بدأ النشر في الصحف التونسية منذ بداية الستينات من القرن الفارط ولم ينقطع عنها إلا بين سنوات 1964 و1968 حينما اتجه إلى القاهرة لمواصلة التحصيل العلمي بجامعة القاهرة، ليعود بعدها إلى النشر والكتابة التي لم تنقطع إلى يومنا هذا، وبهذا يمكن أن نقول إن صلته بالكتابة والنشر تعود إلى نصف قرن من الزمان تقريبا.

عرف الأستاذ السعدي طيلة سنوات بذله وعطائه في الميدان الثقافي بعدّة أمور ميّزته عن سواه: فهو زيتوني فخور بانتمائه وبثقافته وهو من أصحاب الثقافة المشرقية الذي لا يتوانى عن التصريح بانبهاره بأساتذته الذين درس عليهم واختلف إلى دروسهم وأخذ عنهم العلم والمعرفة، له حبّ مفرط للعروبة وثقافتها وهو ولوع بالأدب والثقافة... صرف عمره إلى جمع الكتب وقراءتها، فتراه يفاخر في مجالسه بثراء مكتبته وما تحتويه من كنوز... أنفق عليها من دخله اليسير حتى تعمر وتكبر وهو

إلى ذلك مجالسي، محداث، مراوغ، معاند، يحبّ التحدّي ويسعى إليه سعيا...

يجتمع في مجلس الأستاذ أبي زيان الجامعي والمثقف الزيتوني، والمدرسي والأديب والسياسي... وكل أصناف خلق الله.

فيحسن التعامل مع من يقصد مجلسه، ويجرّه بطريقة أو بأخرى إلى الحديث عما تهوى نفسه وهو عالم عليم بأحوال أصحابه وخلانه... لا يتوانى في إنجادهم بمعلومة أو إسعافهم بمرجع أو كتاب إن طلبوه وتوفر لديه.

لا تكاد تفهم شخصية الرجل، فهو بقدر لطفه وكياسته فإن به بعض الشدّة والقسوة ولا يكتم رأيه بل يصرّح به علانيّة دون خوف أو وجل.

أثمرت تجربته كتبا عدة، بثّ فيها آراءه وذكرياته وأعلن فيها مواقفه من الرجال والأعمال ودوّن للأحداث الثقافية وما يدور في المجالس حول ما يتصل بالأدب والثقافة... فإذا تناول الأستاذ أبوزيان كتابا لنقده فافهم أن موضوع الكتاب هو أحد شواغله الفكرية بل هو بعض اهتمامه الثقافي... وربما هذا ما يفسّر سرّا لم يفهمه العديد من خلال كتاباته، فهو إذا تناول الموضوع فإنه يفيض بما يعرف عنه ويدوّن ما خلد إليه في فكره وفي وجدانه وفي بعض ما تختزنه الذاكرة حول ذلك الموضوع ليفسح المجال بعد ذلك للحديث عما أعلن أنه يريد التحدث عنه.

لنقل إن له استراتيجية خاصة في الكتابة تقوم على أمرين أساسيين:

- تهيئة القارئ ثم جره إلى الانخراط معه فيما أراد له أن يركز عليه وينتبه إليه... حينها تجد نفسك قد وقعت بين حبائل النص ولا مناص لك من الانقياد وراء النتائج المعلنة وهذا ليس من المتيسر لأي كاتب اكتسابه إذ لا يكون ذلك إلا بالدربة والمران ومعرفة طبائع القراء وأفق انتظارهم، وعليه فإن الكتابة عند أبي زيان بمثابة المعركة التي يراد من خلالها كسب الجولة أو الرهان.

تجاوز أبوزيان السعدي العقد السابع بأشهر قليلة ومجلسه يبقى متعة لمريديه وكتبه التي بلغت اثنيْ عشر كتابا مرجعا لا غنى عنه لمعرفة الثقافة التونسية والعربية على حدّ سواء.

محمد العريبي
"شاعر الألم والتمرد"
[1915_1946]

كتب العريبي ذات مرة رسالة إلى صديقه البوهيمي علي الدوعاجي ختمها بقطعة شعرية باللسان الدارج قال:

يالندرا مازال اسمي يذكر

يالندرا مازال من يتفكر

هذه القطعة نظمها عندما كان في المهجر... وها إننا اليوم نتذكرها لنسأل أنفسنا هل مازلنا نذكر محمد العريبي؟ هل منا من يعرف آثاره؟ هل منا من يعرف مقدار الحب الذي يكنّه العريبي لتونس؟ وهو الذي قال في ما قال:

يا للاّ يا مشكايا

يا تونس الخضرا يا مغنيا

يا مرتع الغزلان والغنايا

نحيه ها المكتوب اللي تسطر

ولازم نحج نبوس حجر الحنايا

نطلب رضاك ورحمتك ونكفر

ولد محمد العريبي في غرة مارس 1915 بتونس بنهج الغني عدد 16 ولم نقرأ مقالا واحدا في ذكرى ميلاده أو وفاته يذكر به... ولم يطلق اسمه على النهج الذي ولد فيه إلى يوم الناس هذا بل لم توضع رخامة تدل عليه.

كان من جماعة تحت السور عرف بتمرده وميله إلى الحياة البوهيمية ورفضه لقانون المؤسسة الاجتماعية فتمثل حياة الجماعة التي انتمى إليها.

كتب في أغلب الصحف الصادرة بين 1934 و1945: "العالم الأدبي"، "تونس"، "المباحث"، "الثريا"، "السرور"، "الزمان"، "المسرح"، "صبرة"...الخ

هو أول من أدخل أسلوب الريبورتاج المصور للصحافة التونسية كتب القصة وكتب الشعر، المقالة الأدبية، وشعر الأغنية، أصدر عنه محمد الهادي بن صالح كتابا جمع فيه أقاصيصه ووثّق له الدكتور محمد صالح الجابري وكتب عنه رضا الكشو في مجلة "إبلا" وبدأ فتحي اللواتي يعدّ عن حياته كتابا لم ير النور إلى يوم الناس هذا. والحق أن العريبي يعتبر من العلامات النيّرة في تاريخ الحركة الثقافية والأدبية ببلادنا ورغم حياة اللهو والمجون التي عاشها فإنه قدّم ما يمكن أن يقدّمه الكاتب في عصره ورغم ذلك فإنه كغيره من أعلامنا بقي منسيا مسكوتا عنه فلا وجود لناد ثقافي يحمل اسمه ولا وجود لدار من دور الثقافة تحمل اسمه ولا وجود لجائزة تحمل اسمه بل إن أغلب تراثه ما يزال إلى يوم الناس هذا مبعثرا في الجرائد والمجلات الصادرة في الفترة التي ذكرناها.

ذكر زين العابدين السنوسي أنه من "ضحايا النبوغ الباكر" وذكر أبو القاسم محمد كرو أنه "شاعر الألم والتمرد" وها أننا

نضيف إليه لقبا آخر هو: الكاتب التونسي المغبون الذي تجاهله الناس في حياته وولوا وجوههم عنه بعد وفاته.

فمتى ينصف هذا الكاتب المغبون وهذا العلم المنسي؟ ومن يتصدى لجمع تراثه والتذكير به؟

إن لأعلامنا علينا واجبات عديدة وذلك بإحياء تراثهم والتذكير بإنجازاتهم حتى نعلي من شأن ذاكرتنا ونكشف عن مخزوننا الثقافي والحضاري وأمثال العريبي كثر وكل واحد من هؤلاء ينتظر الكثير والكثير وليست الثقافة إلا برموزها وأعلامها وليست الثقافة إلا بالتراكم ولا سبيل إلى القطع مع تراثنا النيّر وأعلام حركتنا الفكرية والأدبية حتى لا ينطبق عليها ما قاله العريبي مخاطبا صديقه الدوعاجي.

تذكر اسمي
ولا تنحي من خيالك رسمي
كيف ما انقطع من حنانك وقسمي
العيشة مرارت والزمان اتنكر
والشوق يلهب في قلبي وجسمي
في مثيل طير بغير عشو وكّر

توفي محمد بن أحمد بن محمد الأكحل العريبي يوم 24 ديسمبر 1946 بباريس ودفن بمقبرة بوبيني بالقرب من المستشفى الإسلامي بضواحي باريس والخوف كل الخوف أن يقبل علينا ديسمبر القادم ونواجه العريبي بمثل ما وجهناه سابقا.

الدكتور محمد اليعلاوي
مرجع الأجيال

من لا يعرف الدكتور محمد اليعلاوي؟

طويل القامة، عريض الكتفين، له ملامح وقيافة المستشرق الإيطالي والحال أنه من مواليد سوق الأربعاء (جندوبة اليوم) سنة 1929.

لم أعرفه في قاعات الدرس وإنما عرفته مناقشا لأطروحات جامعية في قاعة حسن حسني عبد الوهاب بكلية الآداب بمنوبة وعرفته محاضرا في جمعية قدماء الصادقية وفي بيت الحكمة وفي بعض الملتقيات الأدبية والثقافية. جهوري الصوت، يقول كلمته، يصدع برأيه، ممتع في محاضراته، سريع احمرار الوجه فيهيج كالموج العاتي حتى يملأ صوته أرجاء القاعة، ويقطع كلامه بضحكة عالية تجعله يلقي برأسه إلى الخلف من شدّتها، كان من حظّي أن حاضرت أمامه يوما في جمعية قدماء الصادقية حول الطاهر الحداد وكان يومها يحضر معنا المرحوم حمادي الساحلي، فقاطعني هذا الأخير بهدوئه المعروف ليصلح معلومة ظن أني أخطأت فيها... ولكني لم أنتظر الفراغ من المحاضرة لأردّ عليه... فتركت أوراقي جانبا وانصرفت إلى مجادلة المرحوم حمادي الساحلي وأثبتّ له صحّة ما ذهبت إليه ووافقني على الفور واعتذر. ولما أردت العودة إلى تلاوة ما تكدس من أوراق

أمامي فوجئت بالدكتور اليعلاوي يقاطعني مرة أخرى ليقول لي بعفويته المعهودة: "أنت تعرف الحداد جيدا فلم لا تؤلف كتابا عنه؟". فقلت له: لي كتابان عنه. قال: لا! أقصد كتابا تضرب بيه الكافر يستسلم. ضحكت وضحك كل من في القاعة، فالدكتور اليعلاوي لا يؤمن إلا بالكتاب الذي يزن أرطالا ولا يؤمن بالمعرفة إلا إذا كانت عناء وكدّا وجدا. وكيف لا يؤمن بما آمن وهو الذي ألف عشرات المجلدات وحقّق آلاف الصفحات وترجم أعتى وأكبر النصوص فكتاب "المقفى الكبير" للمقريزي جاء في ثمانية أجزاء وخمسة آلاف وستمائة وأربع وسبعين صفحة.

هو من مؤسسي الجامعة التونسية وحولياتها وتقلد عمادة الكلية وتوزّر في وزارة الثقافة فأنصف الرجال والأعمال وحاضر وناقش الأطروحات وكان مثال الجامعي الحق والأكاديمي المثال الذي تخرجت عليه الأجيال. تراه يسير في الأسواق كبقية خلق الله فلا تصدق أنك أمام اليعلاوي الوزير والأكاديمي والمثقف ولا يستنكف من أديب ولا يعرض عن سؤال ولا يبخل بمرجع. سألته مرة عن عمّه المناضل عبد الرحمن اليعلاوي فقال لي: إن كانت لك رغبة في الاهتمام به فإني على أتمّ الاستعداد لتسليمك وثائق نادرة بخطه.

لا يمكن لمن يعرف الدكتور محمد اليعلاوي إلا أن يحبّ الرجل ويقدّر علمه ومعرفته وتواضعه الذي لا تجده عند العديد من الأدعياء.

أطال الله في عمر الأستاذ الجليل محمد اليعلاوي حتى ينفع البلاد والعباد بغزير علمه وآرائه القيّمة التي لا تعرف المجاملة والمداورة.

البشير خريف
[1917ـ 1983]

هل يحتاج البشير خريّف إلى تعريف؟ هل نحتاج إلى القول بأنه فارس القصة المجلّى وصاحب القلم الساحر الذي أعطى للقصة وهجها الناصع اللامع وفرضها على الساحة الأدبية العربية التي كانت تجهل إبداعات تونس ومساهمتها المحمودة المشكورة في النهوض بفن القصة.

ولد المرحوم البشير خريف في 10 أفريل 1917 بنفطة وزاول تعليمه بمدرسة السلام القرآنية ومدرسة نهج دار الجلد ثم بالمعهد العلوي والخلدونية ومدرسة العطارين حيث أحرز ديبلومها. باشر التجارة فترة في دكان بسوق الكبابجية ثم باشر التعليم بالمدارس الابتدائية والثانوية وبعدها كلّف بمهمة في الإذاعة وفي وزارة التربية وإدارة المسرح بوزارة الثقافة. له عديد المؤلفات المطبوعة مثل "برق الليل" و"الدقلة في عراجينها" و"مشموم الفل" و"حبك درباني" و"بلارة".

حاز عديد الجوائز الهامة كجائزة المرحوم علي البلهوان المسندة من طرف بلدية العاصمة سنة 1960 لقصة "برق الليل" وجائزة بلدية عاصمة تونس لسنة 1981- 1982 وذلك تقديرا لأدبه وجهوده في خدمة القصة التونسية.

ترجمت قصته "برق الليل" إلى الإسبانية والروسية والأنقليزية واليوغسلافية والألمانية وترجمت رواية "الدقلة في عراجينها" إلى الفرنسية ضمن سلسلة كتب الجيبle livre de poche.

وافاه الأجل عشية أحد من آحاد ديسمبر سنة 1983 وبذلك سيقبل علينا ديسمبر القادم بذكرى من ذكرياته؟ فهل ستكون هذه الذكرى عادية؟ أم ستكون مميزة؟ هذا هو السؤال الذي نودّ طرحه لا لغاية إحراج أحد وإنما لنلفت الانتباه حتى لا تضيع فرصة الاحتفال برجل في حجم البشير خريف؟ ولا تكون ذكراه باردة، فاترة بل إننا نريدها أحرّ من رمال صحراء نفطة.

وأستغلّ هذه المناسبة لأروي ما حدّثني به الدكتور محمود طرشونة عن أعمال هذا الرجل المخطوطة وتحديدا ما قاله لي عن مسرحية "سوق البلاط" و"طومبياس" و"سوق العطارين" فهذه الكتب هي ملك من أملاك بيت الحكمة إلى يوم الناس هذا وهي مركونة في مكتبة الدكتور طرشونة – كما قال لي- لأنه خاف عليها من التلف والإهمال بعد أن حلّت بيت الحكمة قسم تحقيق ونشر الأدب التونسي؟ وخيرا فعل لأنه لو تركها هناك لفعلت فيها الأرضة فعلها ولقيها السوس طعاما ممتازا.

وربما أتلفت تمام الإتلاف مثلما حدث للعديد من الكتب والروائع التي اختفت باختفاء الغيورين عليها.

لقد حدثني الدكتور طرشونة بهذا وقال إنه مستعد لتسليمها ونشرها وأرجو أن يكون قد فعل لأني علمت أن الأعمال الكاملة للبشير خريف بصدد الطبع ويقوم الدكتور فوزي الزمرلي بتحقيقها فأرجو أن تكون هذه القصص مضمّنة في أعماله الكاملة حتى لا تكون أعماله ناقصة وبذلك نقدم خدمة لرجل أخرج جزءا من أدبنا من إطار المحلية إلى العالمية.

الدكتور الطاهر الخميري

[1899ـ 1973]

أعرف أن جيلي لا يعرف الدكتور الطاهر الخميري (1899- 1973) وأعرف أن العديد من الأجيال السابقة تنزعج من ذكر الدكتور الخميري. فقد وصف في عصره بالعامي (نسبة إلى العامية) ووصفه فريق آخر بالمغترب... وعمل فريق آخر على تحقير الشهائد العلمية التي عاد بها الخميري من ألمانيا وأنقلترا وأقصاه فريق آخر من الجامعة بحجة سطحية أعماله... فكان حظه في هذا الجانب – على الأقل - لا يختلف عن حظ الدكتور محمد فريد غازي أو عن حال بعض الكفاءات الكبرى التي جاءت محملة بشهائد عليا من الشرق... وتلك مسألة أخرى.

تقريبا لا توجد مجلة أو جريدة صدرت في الفترة التي عاش فيها الخميري بتونس ولم يسهم فيها بكتاباته فقد كتب في "الندوة" و"العمل" و"التجديد" و"اللغات" و"الصباح" و"الشعب" و"الخدام" و"الإذاعة"... الخ. وكان لا يرتزق إلا من قلمه.

كان – رحمه الله- يحذق لغات عديدة كالفرنسية والإنقليزية والألمانية والسلافية... الخ، ولم يكن الخميري يحذق لغة ولا يكتب بها بل كان يقول: "كل نادلي المقاهي يحذقون اللغات الأجنبية ومن يدعي حذق لغة فلم لا يكتب بها؟". ويمر من طور التشدق إلى طور الفعل والإنجاز؟

مؤلفات الخميري عديدة وكثيرة وإرثه إلى يوم الناس هذا ما يزال مبثوثا في الجرائد والمجلات التونسية.

اهتم بالمباحث اللسانية فألف "المعرب والدخيل في العامية التونسية" ونشرها تباعا في جريدة "الخدام" واهتم باللسان التونسي فألف كتابه الأشهر "مختارات من الأمثال العامية التونسية" وكتب بالألمانية أطروحة الدكتوراه عنوانها "مفهوم العصبية عند ابن خلدون" وترجم عن الأنقليزية مسرحيتي "هاملت" و"عطيل" وأصدر في سلسلة كتاب البعث "مكافحة الثقافة" و"مرآة المجتمع".

ألف الخميري قاموسا عن العادات والتقاليد التونسية ونشره متفرقا بين جريدة "العمل" و"مجلة الإذاعة والتلفزة" وألف عدة قواميس علمت للأسف أن بعض الأيادي قد طالتها.

رجل من رجالات البلاد، عالم، عارف، ألمعي، مكتشف، مبكار، سابق، طلائعي، تقدمي... صفات عدة تجتمع في شخص الدكتور الخميري لا يستطيع أن يبوح بها إلا من اتسع رحاب قلبه وامتلأ حبا واعترافا للذين قدموا وناضلوا في الميدان المعرفي والثقافي.

هذا بعض ما يمكن أن يقال حول الدكتور الطاهر الخميري وهذا المقال تحية احترام وتقدير وليت بيت الحكمة تتصدى لجمع أعماله... وقد نبهت إلى ذلك عندما ألقيت محاضرة في رحابها سنة 1999 واستحسن الدكتور عبد الوهاب بوحديبة ساعتها اقتراحي وإلى يوم الناس هذا والأمور لم تتجاوز الاستحسان، فها إننا نذكر لعل الذكرى تنفع. وها أننا نلحّ على ضرورة تكريم الدكتور الطاهر الخميري وهو من هو في تاريخ الثقافة التونسية فإن نسي الخميري وقد تجاوز تاريخ وفاته العقد الثالث فمتى

سينصف هذا العالم المغمور. نسيت أن أقول إن الدكتور الخميري توفي في نفس اليوم والشهر والسنة التي توفي فيها الدكتور طه حسين فماذا لو بحثنا عن صدى موت العلمين في صحافتنا فأيهما سنجد أن حظّه فيها كان أوفر؟؟

الطيب الميلادي

[2000-1906]

عرفته - رحمه الله- في الأشهر الأخيرة من حياته، كانت غاية اجتماعي به إجراء حوار معه بمناسبة مائوية ميلاد المصلح الاجتماعي الطاهر الحداد (1999) فاكتشفت أن الرجل خزينة من المعلومات وأرشيفا ناطقا عن حوادث ووقائع لم تدوّنها دفاتر المؤرّخين.

رجل بشوش، يذكرك ببعض إنسانيتك التائهة، صاحب محمد علي الحامي والحداد والثعالبي والرويسي وبورقيبة والدرعي ومصطفى خريف والشابي والدوعاجي وغير هؤلاء كثير وكثير. عرف اليتم وهو صغير السن وغادر مسقط رأسه صفاقس وهو لا يزال حدثا فربّى فيه ذلك الإصرار والرفض والعناد وعلّمه الصبر والمكابرة وعزّة النفس... كان ينتصر على أحزانه بذرف دموعه خفية ولا يدّخر ثمن قوته اليومي إذا قصده محتاج أو طلبه سائل.

عرف النفي والمعتقل في أوائل خمسينات القرن الماضي وقبل أن تمتدّ أيادي الإجرام لاغتيال المناضل الشهيد فرحات حشاد (ديسمبر 1952) امتدت إليه ففجرت منزله الكائن إلى يوم الناس في 13 نهج ابن شرف بالبلفيدير.

كان واحدا من وفد الأربعين وكان واحدا من جماعة مؤتمر ليلة القدر وبفضل صدقه ووطنيته العالية انتخب عميدا للمحامين في دورتين متتاليتين من 1954 إلى 1958، وعيّن عضوا في المجلس القومي التأسيس.

أخلص لمهنته قدر إخلاصه لوطنه فرافع عن صالح بن يوسف وأحمد بن صالح وراضية الحداد وجماعة حركة آفاق وكان لسان دفاع كل القضايا الكبرى التي عرفتها البلاد غداة تأسيسها ولم يخف في الحق لومة لائم...

عندما تجلس إلى سي الطيب – رحمه الله- يشعرك بأنه قاض في محكمة التاريخ فيحدثك بتلقائية وصدق تلمسه من خلال نبرات صوته عن الحداد والثعالبي وصباط الظلام... الخ.

ساهم في تأسيس جمعية الهلال الأحمر التونسي وفي جمعية الوكلاء التونسيين وفي جمعية حماية الطفولة وفي الهيئة الوطنية للمحامين وفي الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان... لإيمانه بدور الجمعيات في تفعيل النظام الجمهوري.

توطدت العلاقة بيني وبينه إلى أن صار يفتقدني ويصرّ على حضوري بشكل يومي إلى منزله للبقاء وتجاذب أطراف الحديث معه كانت فرحته كبرى وعارمة عندما دعي للكريديف للتحدث عن الطاهر الحداد وكانت فرحته أعظم عندما دعي في المبنى القديم لدار التجمع الدستوري الديمقراطي للتحدث عن الطاهر الحداد.. خانته العبارة كلما خنقته العبرة وسبقت دموعه كلامه كلما تذكر ماضيا رام نسيانه.

كان يأنس إلى حبيبة شبابه ورفيقة كهولته ومؤنسته في شيخوخته المناضلة زينب الغرياني أم بناته الثلاث: خديجة وفاطمة وليلى.

طالت حياته إلى أن رأى كتابا يصدر عنه لينصف مسيرته ويؤرخ لنضالاته... ولم يكن يطلب من الدنيا شيئا...

سألته عن سبب رفضه لمنصبين هامين عرضا عليه في حياته فأجابني بقوله: نحن جيل كنا نلهث وراء الموت فكيف يتحول طالب الموت إلى طالب مناصب؟ نحن من جيل تربينا على البذل والعطاء والأخذ بعد العطاء مذلة تصغر عندها الأنفس.

رحم الله سي الطيب. لقد كان أصفى من الحياة.

محمد الصالح المهيدي

[1902ـ 1969]

من لا يعرف محمد الصالح المهيدي كمن لا يعرف تاريخ تونس. نعم أقولها بكل عناد وإصرار، من لا يعرف هذا الرجل فهو يجهل كل الجهل تاريخ البلاد والرجال.

أصله نفطي، جريدي، تونسي. وهو من علمائنا ومؤرخينا الكبار، مختلف في تاريخ ولادته وقد ثبت لدي بالوثائق أنه من مواليد سنة 1902 أما تاريخ وفاته فثابت لا شك فيه (فيفري 1969) وبين تاريخ ولادته وتاريخ وفاته شهد حياة نضالية رائعة في مرارتها، عظيمة في كل تفاصيلها.

هو باختصار ذاكرة لا تفوّت شاردة أو واردة، له كنش عجيب جمع فيه القيل والقال ودوّن في طياته تاريخ الأعمال والأعلام وكتب رأي زيد في عمرو ورأي صالح في محمد... الخ. دوّن دون أن يعلم هذا ما قال عن ذلك.

كتب عن الحواضر الأميرية بالبلاد التونسية وكتب عن المنشآت العسكرية بالحضرة التونسية وكتب عن تاريخ الصحافة التونسية والعربية وكتب عن تاريخ الطباعة، اختص في التراجم فتميز بالدقة، حدّثني من عرفه أنه قليل الكلام كثير الكتابة، واسع الإطلاع، لا توجد جريدة من جرائد زمانه لم يساهم فيها بقلمه ولم يحفظ نسخها في أرشيفه، عينه عبد الرزاق كرباكة

رئيسا لتحرير جريدة الزمان وراسله الشابي وأحبه الحداد وآمن به كل فرد من أفراد حركة التجديد والتحديث في تونس.

مرّت على وفاته أكثر من ثلاثين سنة ولم تحتفل بذكراه جمعية أو منظمة أو هيئة... وكأنه لم يقدم شيئا للثقافة... لم يسعد في حياته ولم يسعد بعد وفاته...

إثر وفاته بيعت مكتبته إلى معهد الصحافة وعلوم الإخبار لكنها لم تجد حظها رغم أهميتها وأهمية موقعها فتمت مقايضتها مع دار الكتب الوطنية وذلك سنة 1980.

ومجمل رصيد مكتبته يحوي 1078 مجموعة من الجرائد وملفات وقصاصات مجموعة في 115 صندوقا هي من أندر ما يوجد حول الشخصيات الذين وثق لهم.

أتيحت لي فرصة الإطلاع على هذا الأرشيف بعد لأي وعناء كبيرين إذ أن هذه المكتبة -أرشيف غير متاح للعموم- من تاريخ شرائها إلى اليوم تستوجب ترخيصا خاصا وخاصا جدا وقصة ما في الأمر أن أرشيفها لم يفهرس. وهي بذلك معرضة إلى النهب والتلف ويمكن أن تطالها الأيادي، أعني أيادي من يرى نفسه جديرا بوثيقة لا يجب أن تتاح لغيره. عاش المهيدي من قلمه وكتب في جلّ الصحف الصادرة في عصره وكان حجة في تراجم الأعلام والمعالم، لا يعرف قدره إلا من قرأ كتاباته واطّلع على آرائه لذا فإننا نوجه رجاء إلى ضرورة الاعتناء به.

لقد ألفت عنه كتابا صدر ضمن سلسلة ذاكرة إبداع حاولت أن أبرز فيه مكانة الرجل وقيمته وأعتقد أنه لم يقل إلى اليوم ما يجب أن يقال عنه.

تناساه أصحابه ومن جايله ويجهله أغلب كتّاب اليوم ولا نعرف متى ستلتفت الأنظار إليه؟

علي بن كاملة المثقف والمناضل العصامي

[1872ـ 1935]

ولد علي بن حسن بن محمد بن كاملة ببلدة قصور الساف سنة (1872) وتوفي بتونس العاصمة سنة 1935 حيث دفن بمقبرة الزلاج بتونس العاصمة... وبين تاريخ ولادته وتاريخ وفاته قصة نضال وحياة كفاح هي علامة فخر على جبين هذا الرجل العصامي.

ابتدأ علي بن كاملة مسيرته متسوغا لدكان ببطحاء باب سويقة لصناعة الحلويات والمبرّدات وبيعها. فإذا حلّ فصل الشتاء عوّض المبرّدات بالصّحلب (الدرع) إلى أن قفزت إلى ذهنه فكرة اكتراء قاعة لعرض الأشرطة السينمائية وتعويض صناعته الأولى بأخرى عساها تدرّ عليه ربحا أوفر... ولكن هيهات هيهات – كما يقال- فصناعة السينما يسيطر عليها بعض الفرنسيين وبعض الإيطاليين وبعض اليهود...

وأنى للتونسي احتراف هذه المهنة؟

"فدبّروا له مؤامرة كادت تقضي عليه ولكن آلت لصالحه زيادة على فشل القائمين بها فصاحب المشروع كان مؤمّنا على مشروعه في شركات الضمان لما عسى أن يلحق به من جرّاء

الحريق أو الهدم، وفي ذات يوم حدث ما كان متوقعا... وهو انهدام أحد جدران قاعة العرض... ويقال إن ذلك كان إثر عمل تسرّب المياه إلى ذلك الجدار من عقار يملكه أحد اليهود وكان من المتوقع أن ينقض الجدار على حرفاء قاعة العرض (...) وأفضت المطالبة المالية التي قام بها صاحب المشروع على شركة الضمان بالتحصيل على غرامة مالية ذات أهمية كانت نواة لتوسعة المشروع...

ومن هذه الأزمة انطلق على بن كاملة ليؤسس "إيدان سينما" الذي غيّر مجرى الأحداث الثقافية ببلادنا إلى حدّ وقع اتهامه من طرف السلطات الاستعمارية بأن مشروعه هذا يهدف إلى تمويل المتحزّبين بتركيا لمقاومة فرنسا، وما زاده ذلك إلا إصرارا على مواصلة مشروعه لخدمة البلاد والعباد.

في ذلك الظرف كانت الجمعيات المسرحية والفرق التمثيلية التونسية محرومة من استعمال مسرح البلدية متى قرّ عزمها على تمثيل مسرحية عربية ولا يعطى هذا المسرح لبعضها إلا أحيانا وأسباب ذلك هي سياسة الميز العنصري الذي كانت تسلّطه السلط الفرنسية بتونس إزاء كلّ المشاريع التونسية فما كان من عليّ بن كاملة إلا أن يفتح قاعته للمسرحيين التونسيين حتى يتمكّنوا من عرض أعمالهم وبذلك تصدّى هذا الرجل العصامي صاحب الوطنية العالية إلى إحباط مؤامرة الفرنسيين الذين لم يكفّوا أذاهم عنه إلى أن أوصلوه إلى بيع مسرحه في المزاد العلني وأصبح مسرحه تابعا لشركة سيارات أجنبية إلى يوم الناس هذا ومقره موجود بشارع لندرة".

هذا ما ذكره المرحوم محمد الصالح المهيدي عن علي بن كاملة وها إننا نستعيده اليوم ليعرف شباب اليوم حجم

التضحيات الجسام التي قدمها السابقون... أفلا يستحق علي بن كاملة أن يطلق اسمه على قاعة من قاعاتنا المسرحية؟ وعلى قسم من أقسام المعهد العالي للفن المسرحي؟ أو أن يكرّم في دورة من دورات مهرجان قرطاج المسرحي؟ أو أن يطلق اسمه على شارع من شوارع العاصمة؟

إن لهذا الرجل علينا عديد الواجبات وأوّلها وأهمّها ما ذكرنا.

عز الدين المدني
الكاتب الأكتب

رأس أشيب يتوسطه صلع صغير، عينان جاحظتان وقامة تميل إلى القصر ومعطف طويل وحقيبة ديبلوماسية... وتلك هي بعض ملامح الفنان عز الدين المدني.

اخترت عبارة فنان لأطلقها على الأديب الكبير عز الدين المدني لأنه شخصية متعددة تجمع بين مهارات قلّ أن اجتمعت لشخص، فعزّ الدين المدني قصاص وروائي وناقد أدبي وناقد تشكيلي ومسرحي يكتب النصوص المسرحية ويمثلها وهو ما لا يعرفه عنه العديد، وسينمائي ومصمم كتب وصحافي وناقد ثقافي...

لا أقول هذا مجاملة... بل إن من يعرف عز الدين المدني يعرف هذا وربما يقول لي لقد غابت عنك أشياء أخرى...

هو من أبرز من عرّف بالدوعاجي وهو من أبرز من كتبوا عن كبار الفنانين التشكيليين وهو رائد التجريب في تونس والوطن العربي وهو من القلائل الذين استطاعوا أن يتميزوا بكتابة نصوص مسرحية إلى درجة أن النقاد تحدثوا عن مسرح عز الدين المدني.

كاتب أكتب، يخوض في كل المواضيع ويفهم في كل ما يكتب إذا جلست إليه يحدثك عن الفلسفة والاتجاهات الجديدة فيها ويحدثك عن السمفونيات ويبرز لك ما يتميز به موزار عن باخ وفاقنر عن بيتهوفن ويحدثك عن أعلام الفن التشكيلي واحدا واحدا وعن تميز عمار فرحات وعن سر عبقرية زبير التركي فلا تكاد تستقر معه على موضوع واحد في جلسة واحدة حتى تشعر في النهاية وقد اكتظت برأسك المعارف، إنك على بساط من الريح والمدني كالمارد الذي يحكم حركاته فيتجول بك كما شاء فيما يشاء ولا سلطان لك عليه.

كتب في العمل والفكر واللغات والصباح والمسار وقصص والحياة الثقافية والمجلة الصادقية والصحافة واستكتبته أكبر المجلات العربية حتى غدا في الشهرة يضاهي الحائزين على جائزة نوبل للآداب.

تنويري، ثوري، رائد، مجرب، فنان، عاشق للسفر والترحال. أذكر مرة أنه ترأس تحرير المجلة الصادقية وطلب مني أن أطلب من بعض الشبان الذين لمع اسمهم في الكتابة أن يسهموا في تحريرها فجمعت له ما أمكن من المساهمات فصدر عدد استثنائي من تلك المجلة ممهورا بأقلام الرموز الثقافية الجديدة وبعدها رجعت المجلة إلى سالف عهدها.

كنت أظن أنه غضب من ذلك... فضحك وقال لي "ما يفهمونيش يا محمد".

نال أكبر جائزة عربية عن مجمل أعماله وهي جائزة السلطان العويس فكانت تتويجا لمسيرة رجل ابتكر وأسس وأخلص للثقافة...

له عشرات المؤلفات المطبوعة وله العشرات التي تنتظر الظهور في كتب ولو أخرج كل ما كتب لكان أغزر الكتّاب إنتاجا يشعرني حين أجلس إليه بأنفة الكاتب وبضرورة الاعتزاز بالانتساب إلى العائلة الثقافية.

مشّاء، تراه كل صباح يجوب أنهج العاصمة من غربها إلى شرقها كأنما يبحث عن شيء أو كأنه على موعد مع فكرة تركن في مكان من الأمكنة يحسبه من يجهله بأنه مدير مؤسسة ويعرف من يعرفه أنه عز الدين المدني الكاتب والمثقف الذي يسير في شوارع العاصمة مرفوع الرأس فخورا بأنه رجل الفكر والقلم.

أطال الله في عمره حتى يبرز مشاريعه القلمية لتدل على سعة معارفه وأفكاره الطلائعية.

صلاح الدين بوجاه

لم أكن أعرف الدكتور صلاح الدين بوجاه معرفة كافية، نظرا لصمته وابتعاده عن ضوضاء المشهد الثقافي رغم ما كان بيننا من عبارات اللطف وتبادل الابتسامات والتحيّات إلى أن أتيحت لي فرصة السفر معه إلى مصر وتحديدا إلى مدينتي العريش والقاهرة.

في العريش كنت مطالبا بتقديم محاضرة أمام وفود عربية عنوانها "عبقرية المكان ورهان الحوار الحضاري" وكان هو مطالب بالحضور الدائم في اجتماع جلسات المكتب الدائم لاتحاد الأدباء العرب فلم نكن نلتقي إلا في أوقات الفطور أو العشاء، كنت أراه منهكا وعلامات الإرهاق والضجر بادية على وجهه فأسأله ما الجديد؟ فينظر إليَّ باهتا، مبتسما، محمرّ الوجه: والله لا أعرف يا محمد تصور أننا نناقش لمدة ثلاث ساعات قضية تافهة إلى درجة أنني كنت أشرد بذهني. فنضحك ونمضي إلى الفطور أو إلى العشاء محاولين تغيير موضوع الحديث.

وفي القاهرة كانت لنا جولات في المتحف المصري وفي شارع محمد علي وفي باب الخلق وفي سور الأزبكية وسهرات في سيدنا الحسين والفيشاوي ومقهى نجيب محفوظ في خان الخليلي وبين مكتبات: مدبولي والشروق والأسرة والهيئة العامة للكتاب.

رحلة اكتشفت فيها هدوء الرجل وتواضعه وميله إلى الصمت وحبّه للاستماع وطيبة قلبه واكتشفت مكانته عند إخواننا المصريين حيث كان يسألني بعضهم أن أتوسط له ليتحادث مع الروائي صلاح الدين بوجاه وكلما ذكرت له أن أديبا يريدني التوسط لديه يبتسم ويقول لي: ومن أنا حتى تتوسط لديهم؟ غاية في التواضع والثقة بالنفس.

هو كاتب مغرم بالكتابة إلى حدّ الهوس، يكره أن يتعامل مع الناس على أنه جامعي ويسرّه أن يعاملوه روائيا وقصاصا.

وفيّ للذين يحبهم ويعتبرهم من أصدقائه، ولا تعرف متى يغضب، بل إن غضبه يجعلك تضحك وتحتار: تضحك من رجل في هدوئه كيف يعرف الغضب إليه سبيلا وتحتار من غضبه الذي تدرك أنه يزول في لحظة فقلبه لا يعرف إلى الحقد والبغضاء سبيلا.

في رواياته تجده شخصا مختلفا تمام الاختلاف عمّا تعرف فهو هائج، مائج، ضاج، صارخ، كأن الأدب فرصته ليقول ما يستحي قوله في الحياة العامة بل إنك لتحسب أنه يعاف حياة الناس فيبخل بهياجه وصياحه وضجيجه وصراخه أو هو عارف أن كل ذلك لا يفعل في الناس قدر الصمت واللامبالاة.

كتب في الصحافة التونسية والعربية وألف الروايات والأقاصيص وكتب في النقد وأعدّ أطروحة دكتوراه الدولة في الأدب المقارن مقارنا الروايات التونسية المكتوبة بالعربية بالروايات التونسية المكتوبة بالفرنسية فنالها بدرجة مشرف جدا وأعرف أنه لو جمع محاضراته التي قدمها في مختلف الندوات والملتقيات لألف بها كتبا لا حصر ولا عدّ لها، وليته يفعل ذلك حتى يعرف قيمته من لم تتوفر له فرصة معرفته.

الدكتور محمد صالح الجابري

يعرف الدكتور محمد صالح الجابري الساحة الثقافية التونسية كما لا يعرفها غيره من جيله من الأدباء والكتّاب.

رجل عروبي بكل ما تعنيه الكلمة : فهو من أصل جريدي، درس بداية حياته في تونس ثم انتقل إلى العراق لمواصلة تعليمه العالي وأنهى شهائده العلمية في الجزائر، فكأنه طاف البلاد من شرقها إلى غربها حتى تتكون لديه ما تكون من العلاقات الثقافية.

عرف قصاصا وروائيا واشتهر بأول أنطولوجيا شعرية نشرت غداة الاستقلال، وبها سطع نجمه في سماء المشهد الثقافي.

اشتغل معلما بالمدارس الابتدائية ولم يرض عن نفسه فواصل الرحلة إلى بلاد الرافدين ليعود وقد تحصل على الإجازة في الآداب العربية ولم يرض عن نفسه، فواصل تحصيل الشهائد العلمية وأعد كتابا ضخما عن محمود بيرم التونسي لم يكتب مثله إلى يوم الناس هذا... ثم اختص في الأدب الجزائري واستطاع أن يكون المرجع الأوحد – في وقتنا الراهن- عن العلاقات الثقافية بين تونس والجزائر.

ثم تفرّغ للإشراف على موسوعة العلماء الأعلام التي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكثيرا ما زرته

في مكتبه فرأيته يصلح بحوث الباحثين ويصوب ويصلح أخطاء اللغة والتركيب ولا يهدأ حتى يستقيم بحث الباحث على الشاكلة التي يرضاها له.

أجلس إليه فيطلب مني أن أحدثه عن المشهد الثقافي ولا أعرف كيف يقاطعني ويفتك الكلام مني ليحدثني عن علم من أعلام الثقافة بطريقة عجيبة، غريبة حتى كأني أشرع حينها في اكتشاف الشخص الذي كنت أظن أنني أعرفه.

وما تفهمه أثر اللقاء معه أنك كنت أمام رجل على غاية من الذكاء وينظر للأشياء من زوايا مخصوصة يكاد لا يشاركه فيها أحد من معاصريه.

كثيرا ما طلبت منه المشاركة في ندوة أو ملتقى... وكثيرا ما كان يعتذر وينظر إلي مبتسما فيقول: وماذا عساي أضيف؟ فتفهم أن للرجل موقفا لا يريد أن يعلن عنه بل يتجنب ذلك.

يكره الظهور في وسائل الإعلام رغم حرصه على متابعة ما يحدث فهو كمن اختار الجلوس على الربوة لا هربا أو طلبا للنجاة ولكن لأمر في نفسه لا يفصح عنه.

هو دائرة معارف حول الأعلام وعالم عليم بطبائع الأدباء والكتاب وديبلوماسي في طرق تعامله مع الناس.

يعتبر الدكتور محمد صالح الجابري أحد أبرز أعلام ثقافتنا وهو من جيل في طور الانقراض – للأسف- ومع ذلك فإننا لم نحسن الاستفادة منه.

نال الجائزة المغاربية للثقافة كاعتراف بإشعاعه المغاربي وفضله على الثقافة المغاربية أطال الله في عمره حتى نستفيد من غزير علمه ومعارفه التي لا تقدر بثمن.

يعترضني أحيانا في شوارع العاصمة يمارس هوايته المفضلة وهي رياضة المشي فأتحاشى تعطيل مساره ولكن ما إن يراني حتى يوقفني ليسألني عن أحوال الساحة الثقافية التي تستهوي قلبه ويود ألا يفوته ما يحدث فيها.

الشاعر نور الدين صمود: عالم عليم بالعروض

قد لا يعرف العديد سرّ إصرار الشاعر نور الدين صمود على لحيته التي يلتحي بها والسر لم يذعه إلا في بنزرت. فقد كان نور الدين صمود أستاذا للتعليم الثانوي في معهد ستيفان بيشون ببنزرت المعروف اليوم بمعهد 2 مارس 1934 وقبيل حرب الجلاء، اضطر الشاعر إلى الذهاب إلى قليبية مسقط رأسه، في عطلته تلك وقعت حرب الجلاء فكان من حظه أن حطمت الدار التي كان يسكنها وبتحطم تلك الدار ضاع أول ديوان شعري كتبه نور الدين صمود فعبر عن حزنه ذلك بإطلاق لحيته.

روى لي أيضا أن الدكتور الطاهر الخميري اعترض سبيله فقدم نور الدين صمود نفسه للخميري وقال له أنا شاعر فقال الخميري – رحمه الله- لأول مرة في حياتي أرى شاعرا في مثل أناقتك.

العديد من الناس لا يعرفون أن الشاعر نور الدين صمود رسام وهو سليل عائلة ثرية لم يعرف الجوع والحرمان والفاقة والتشرد وحياة الصعلكة والبوهيمية ورغم ذلك فهو من أكبر الناس معرفة وثقافة وسعة إطلاع هو لا يتفق مع الذين يرون أن

الأدب مأساة أو لا يكون، رغم أنه ألف كتابا كاملا عن صاحب هذه المقولة.

اتفق مرة لي أن كنت أتجول مع نور الدين صمود وشاهدتني شقيقتي فلم ترغب في إزعاجي ولما عدت إلى منزلي اعترضت زوجتي سبيلي ضاحكة وقالت لي إن أختك قالت إن أخي أصبح أديبا لأنها شاهدتك تمشي في الشوارع مع نور الدين صمود.

أذكر أنني كنت أدرس في معهد باش حامبة ببنزرت وأرغمنا أستاذ العربية على حضور أمسية شعرية لنور الدين صمود وأمرنا بعدم التشويش وبالانضباط والهدوء حتى تنتهي الأمسية وإن كانت لنا أسئلة فيستولى الإجابة عنها في الحصة المقبلة... كنا نعتقد أن نور الدين صمود صاحب العروض المختصر كالآلهة ولم أعرف أن الأيام ستجمعني به يوما لأجلس إليه وأتحادث معه.

هو عالم عليم بالعروض وثقافته الشعرية لا تضاهيها ثقافة بين شعراء عصره، له لكل سؤال جواب وهو حسن المعشر، لطيف، كيّس، لبق، لا يبخل عن سائله بفكرة أو معلومة، مضياف، كريم، معطاء...

أسس منتدى الخليل في قليبية وكان يتمنى أن يؤسس مجلة الخليل – نسبة إلى الخليل ابن أحمد الفراهيدي- يحب النكتة والفذلكة ويستطيع أن يحول الهزل إلى جد، هو شاعر إلى أخمص قدميه، تجلس إليه فتشعر أن ليس لديه ما يخفيه، يقول ما يفكر فيه ويحب التحدي.

يسخر من الجيل الجديد ولكنه يحب غرور الجيل الجديد ويسعى إلى مساعدتهم تماما مثلما كان يفعل مع جماعة غير

العمودي والحر فهو لا يؤمن بشعرهم ولكنه هو الذي دافع عن تواجدهم في المجلات والجرائد... زيتوني التكوين، مشرقي الثقافة ولكنه يؤمن باختلاف وجهات النظر لا يتورع عن مناقشة أديب ناشئ ولا يتهيب أديبا راسخة أقدامه في العلم والمعرفة.

غزير الإنتاج، وفيٌّ لأصدقائه وآرائه وتوجهاته يقبل النقد والانتقاد ولا يهتز لرأي ولا يطرب لمدح، كتب في الجرائد والمجلات وكرّس جهوده للإذاعة وهو إلى ذلك شديد الثقة في النفس وشديد الاعتزاز بثقافته وتكوينه.

نور الدين صمود شخصية فذة ولا يعرف قدره إلا من اقترب منه وأحسن الإنصات إليه.

أطال الله في عمره حتى تستفيد الأجيال من غزير علمه وسعة إطلاعه وعمق معارفه.

البشير الفورتي
شيخ الصحافة التونسية
[1882_1954]

على غرار أخواننا المصريين فإن الألقاب في تونس كانت شائعة إلى زمن قريب من ذلك إطلاق صفة شيخ الأدباء على العربي الكبادي وأب القصة التونسية على علي الدوعاجي وأب النهضة التونسية الأول خير الدين التونسي وأب النهضة التونسية الثاني محمد البشير صفر كذلك أطلق على البشير الفورتي لقب شيخ الصحافة التونسية وسبب إطلاق هذا اللقب عليه أنّه أكثر من أسس صحفا بتونس.

ثالث صحيفة يومية ظهرت في تونس هي "التقدّم" ومؤسسها هو البشير الفورتي وكان ذلك سنة 1908 حيث استمرت في الظهور بشكل يومي لمدة سنة كاملة بل إنها أول صحيفة تطبع بالحروف لأن الجرائد السابقة له كانت تطبع بالمطبعة الحجرية وبخط اليد.

ولعل أول ملحق ثقافي صدر في الجرائد التونسية هو ملحق "التقدم" وكان ذلك الملحق يصدر بصفة أسبوعية غير أن هذه التجربة كما ذكرنا لم تتجاوز السنة نتيجة ما عاناه صاحبها من ضيق مادي فأسس بعدها جريدة هزلية أسبوعية ناقدة اسمها

"ولد البلاد" طبعا لا يقصد بذلك بلدية العاصمة بل كان يقصد أبناء تونس ليميزهم عن المستعمرين.

وهذه الجريدة لم تعمر كذلك إذ هاجر عنها صاحبها للمشاركة في الحرب ضد الإيطاليين سنة 1911 عندما استعمروا ليبيا ثم هاجر إلى الاستانة وهناك أصدر كتابه "فضائع وفضائح" يصف فيه هول العدوان الإيطالي على الليبيين.

ولم يخرج من تلك التجربة بكتاب واحد عن الاستعمار إذ لم ينقطع عن مراسلة الصحف التونسية سواء لما وجد في ليبيا أو في الأستانة لأن قلبه بقي معلقا في تونس التي لم يعد إليها إلا سنة 1914.

غداة عودة الفورتي إلى تونس ساهم في تأسيس عديد الصحف كـ"صوت الفلاح" و"تونس" و"المنار التونسي" و"المذياع" و"المجلة الزيتونية" و"الهدى"... الخ.

أسس الفورتي أول سلسلة كتب في تاريخ تونس ولم يصدر منها سوى ثلاث حلقات.

الأولى حول شاعر القرن التاسع عشر حسن المزوغي.

الثانية حول المناضل الكبير عبد العزيز الثعالبي.

الثالثة حول الصحفي المصري حمزة فتح الله.

واندرجت كلها تحت اسم "أعلام النهضة الأدبية بتونس" وقد يتساءل البعض لماذا أدرج في هذه السلسلة صحفيا مصريا والجواب بسيط لأن هذا الصحفي هو أول من ترأس تحرير جريدة "الرائد التونسي" فهو مساهم في بناء نهضتنا بشكل أو بآخر.

بعض المصادر التي أرّخت للصحافة التونسية تحدثت عن الفورتي ولكن الكتاب الوحيد الذي ألف عنه هو ضمن سلسلة ذاكرة وإبداع التي يصدرها المركز الوطني للاتصال الثقافي.

في تقديري الشخصي لم ينل البشير الفورتي ما يستحق من التبجيل والتكريم ولم ينل حقه الذي يجب أن ينال وهو حري بكل احتفاء وكل تكريم.

أحمد الدرعي

[1902ـ1965]

من لا يعرف أحمد الدرعي فإنه لا يعرف جوانب عديدة عن حركة محمد علي الحامي عندما أراد بعث أول نقابة في الوطن العربي (1924) ولا يعرف الكثير عن حياة الطاهر الحداد والمحنة التي مرّ بها إثر إصداره كتاب " امرأتنا في الشريعة والمجتمع" (1930).

هو أحد أعضاء جامعة عموم العملة نال شهادة التطويع من الجامع الأعظم وعمره عشرين عاما. وكان أول عمل عرف به هو نضاله النقابي ثم واصل تعلّقه بالقضايا الوطنية فكان أحد أبرز كتاب الصحافة في الميدان الاجتماعي، إذ عرف باندفاعه وتحمّسه المفرط لمختلف قضايا التحرر الوطني.

عندما أصدر الحدّاد كتابه حول المرأة وقامت الحملة ضدّه كان الدرعي من أبرز مناصريه بكتابة مقالات المناصرة والدفاع عنه وساهم في حفل تكريمه بكلمة لمناصرته وعندما توفي الحداد قام بتأبينه والكتابة عنه وعند مجيء الاستقلال وأعلنت مجلة الأحوال الشخصية أصبح بعض المتملقين من أنصار قضية المرأة بعدما كانوا من أعداء الحداد وفكره، فكان أحمد الدرعي بالمرصاد لهم حيث ألف كتابا عنوانه: "دفاعا عن الحداد أو بكت كتب الكبت" وهو كتاب تولى فيه الردّ على المرحوم محمد

المرزوقي وصديقه الجيلاني بلحاج يحيى لأنهما اتهما الحداد بالشذوذ الجنسي وبعدم أهليته في الدفاع عن المرأة نظرا لصغر سنه، فكان كتابه ذلك كالصرخة التي أعلنت إثر وفاة صديقه الحداد ولزيادة مناصرته أصدر كتابا آخر عنوانه "حياة الطاهر الحداد" لم يكتب مثله إلى اليوم لأنه أتى على حياة الحداد بالتفصيل بوصفه معاصرا له واطلع على حقائق لم يطلع عليها غيره.

وقبيل وفاته سلّم المرحوم محمد أنور بوسنينة بقية ما لديه من وثائق كان يعتزم إصدارها فأصدر هذا الأخير "خواطر الطاهر الحداد" و"التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة" وكلها من الكتب التي لو امتد العمر بالدرعي لأصدرها بنفسه ولكنه خيرا فعل فقد سلّمها إلى المرحوم بوسنينة فأتم الرسالة كما ينبغي.

لقد أكّد الدرعي إخلاصه لصديقه الحداد وقدرته على الوفاء لآرائه فعمل ما يمكن عمله في ذلك الظرف.

ابنة المرحوم أحمد الدرعي هي عميدة كلية الحقوق السابقة الدكتورة كلثوم الدرعي المزيو التي ورثت عن والدها عشقه للحقوق إذ تخرج – رحمه الله- من مدرسة الحقوق التونسية وقد كان أحد أصدقاء المرحوم الطيب الميلادي.

فما أرجو وأنا أكتب هذا المقال أن يتم إعادة طبع أعماله الرائدة في مجالها وأن يقع تكريمه بإطلاق اسمه على نهج من أنهج العاصمة، فنهج يحمل اسم علم من أعلام الثقافة والنضال أفضل من نهج يدعى نهج الكبدة أو الوصفان أو... من الأسماء التي لا معنى ولا رمز لها.

عثمان الكعّاك

[1903ـ 1976]

الأستاذ عثمان الكعّاك علم من كبار أعلام تونس، ولكنه لم ينل ما يستحقّ إلى يوم الناس هذا.

هو صحافي وخطيب ومحاضر وباحث وموثق ومؤرّخ وعالم ومناضل لا تكاد تفتح جريدة من الجرائد التي أدركها عثمان الكعّاك ولا تجد له أثر فيها، إذ كتب في الصواب والزهرة ولسان الشعب والعالم الأدبي وتونس المصورة والنهضة والثريا والمباحث والندوة والفكر والصباح والعمل واللغات... الخ.

ومقالات الكعّاك ليست بالمقالات العجلى بل هي تعجّ بالمعارف التاريخية وبالآراء الثقافية والإصلاحية ويمكن أن تفتح مشاريع في التفكير والبحث إذا ما تناولناها تناول الجدّ.

كانت المحاضرة التي ألقاها الكعاك حول وضع المرأة في تونس سنة 1928 بنادي قدماء الصادقية هي الدافع الحقيقي للطاهر الحداد ليكتب كتابا كاملا حول المرأة.

هو أول تونسي تولّى إدارة القسم العربي بالإذاعة سنة 1938 ليتركها فيما بعد إلى الصحافي والأديب نور الدين بن محمود وقد عشق الإذاعة عشقا لا يوصف فإلى جانب إدارتها كان يدلي بدلوه فيذيع الأحاديث والمحاضرات بصوته.

تحوّل بعد ذلك إلى وظيفة لا تقلّ خطورة عن وظيفته في الإذاعة حيث تولى إدارة القسم الشرقي بدار الكتب الوطنية فكان حريصا على تزويد ذلك القسم بالمطبوعات والمخطوطات العربية وقد وجد بها حين دخلها بعض المئات من الكتب فحوّلها إلى الآلاف المؤلفة فهو من هذه الناحية كمن صنع الذاتية التونسية من منطلق فكري، معرفي ومما كان يروى عنه أنه كان يعمل منذ مطلع الصباح إلى آخر ساعات النهار فإذا غلبه النوم يفترش حشية ويبيت ليله بين الكتب.

حبّه للمعرفة وعشقه للكتب جعله من أغزر جيله إنتاجا حيث ألف ما يزيد عن العشرين كتابا ولو جمعت مقالاته ومحاضراته لزادت عن الخمسين كتابا آخر.

قلت لم ينل ما يستحق إذ ما أن أحيل على التقاعد حتى أخرج من دار الكتب الوطنية ليكمل بقية حياته في إدارة الموسيقى فكان يقول بكلّ مرارة "أنا الرجل الذي نسيه الموت" لأنه لم يكن يتصوّر أن يكون له مكانا غير دار الكتب الوطنية ويقال إنه ألف موسوعة في الموسيقى نهبها بعضهم بعد وفاته.

ورغم ذلك فقد كان من الواجب إحياء ذكراه والتذكير بجهوده وجمع أعماله وإصدارها من جديد حتى تعرف الأجيال قيمة رجل في حجم عطاء الكعّاك، ليس كثيرا على رجل مثله خدم الثقافة والفكر والأدب أن تترك أعماله هكذا وأن تنهب مقالاته ولا يقع تكريمه والتعريف بجهوده والفرصة لم تذهب بعد بل هي سانحة لتذكر أعمال الرجل والتعريف بحجمه وبجهوده.

محجوب بن ميلاد

[1916ـ 2000]

كثيرا ما تحدث البعض عن الصراع بين الزيتونيين والمدرسين وإلى غاية اليوم لم توضع دراسة شافية وكافية عن هذا الموضوع الذي لا يمكن بدونه فهم العديد من القضايا التي جدّت ببلادنا على مدار تاريخها المعاصر.

يمثل الأستاذ محجوب بن ميلاد أحد أطراف هذا الصراع فقد عرف بشدّته على الزيتونيين وسبب ذلك في تقديري هو اختصاصه الفكري، إذ نال الإجازة في الفلسفة وتخصص في الفلسفة العربية القديمة (ابن رشد، الغزالي...) وبالتالي فإن مناطق اهتمامه الفكري تقرب كثيرا من مناطق اهتمام الزيتونيين ونظرا لتكوينه المدرسي فإن رؤيته للأشياء مختلفة وكان من الطبيعي أن تظهر عليه علامات الاختلاف عن ذلك الجيل. الأمر الثاني الذي طبع شخصيته هو عمله الإذاعي الذي امتد من سنة 1938 إلى حدود سنة 1947 فالحديث في الإذاعة في ذلك الوقت يطبع الشخصية بطابع الواعظ والمرشد الاجتماعي وهو ما يجعل "المذيع" يشعر بنفسه سلطة اجتماعية ومعرفية في آن.

الأمر الثالث هو أنه كان من أبرز مهندسي السياسة التربوية غداة الاستقلال حتى أنه كاد يولّى وزارة التربية فكان من أبرز من نافس المسعدي غداة الاستقلال.

هذه الأشياء لا بد أن يضعها دارس شخصية محجوب بن ميلاد في اعتباره قبل أن يقبل على دراسة شخصيته.

كان محجوب بن ميلاد يشبّه الوطن العربي برقعة الشطرنج فيقول إذا تأملت الخريطة ستلاحظ أن هناك منطقة مضيئة وأخرى مظلمة تماما مثل قطعة الشطرنج وكان يشبّه العقل البشري بالعمارة التي بها بعض الغرف المظلمة والغرف المنيرة فيقول إن العقل البشري به مناطق متطورة وأخرى متخلفة.

أول كتاب نشره في حياته كان ضمن سلسلة كتاب البعث وعنوانه "تحريك السواكن" وعرف بعد ذلك بصاحب مشروع تحريك السواكن.

كان محجوب بن ميلاد مثالا للمثقّف النيّر الذي يريد أن يوظف معارفه لصالح بلاده ولخدمة قضايا شعبه.

كرّمه سيادة الرئيس قبل وفاته وأطلقت بلدية منزل جميل (بنزرت) اسمه على أحد شوارع المدينة تكريما لجهوده وعبقريته وليت هناك من يتصدى لجمع أعماله وإعادة نشرها لأن تلك الكتب تحتاج إلى أن تقرأ اليوم بنظرة جديدة بعيدة عن الصراع الزيتوني المدرسي.

لعل أهم كتاب وضع عن حياة وفكر محجوب بن ميلاد هو الذي كتبه الأستاذ عبد العزيز بن يوسف أطال الله في أنفاسه، فهو الكتاب الوحيد والمرجع اليتيم الذي لا مناص من إعادة قراءته من جديد.

الحبيب شيبوب

يتميز المرحوم الحبيب شيبوب بالذاكرة القوية وهذا سرّ إعجاب العديد من الناس به. فقد جمع إلى جانب معرفته بالشخصيات الثقافية التي عاصرها أو سبقته؛ معرفته بالصحافة ورجالاتها وأعلامها، وقد وظّف جهوده وطاقاته للإذاعة حتى غدا نموذجا للذاكرة الحية.

ولا أستطيع أن أتحدّث عنه دون ذكر معركة جدّت بيني وبينه على صفحات جريدة الصريح عندما تحوّلت إلى جريدة يومية وكنت أحرّر صفحتيها الثقافيتين كل يوم وسبب تلك المعركة هو ما كتبته عن الصحافي والأديب نور الدين بن محمود فقد قلت إن له علاقات بسلطات الحماية وكان يطبع مجلة الثريا بدعم منها فثارت ثائرته وكتب ردّا عليّ يبرّئ فيه نور الدين بن محمود ولم أكن أتصوّر أن الأمر سيتجاوز صفحات الجرائد إذ ما راعني في لقاء نظم في دار الثقافة المغاربية ابن خلدون لتقديم كتاب حواري مع الممثل جميل الجودي إلا أن يتهجّم علي المرحوم الحبيب شيبوب لولا تدخل بعض الأصدقاء لفضّ ما حدث بيننا.

والحقّ أن سرّ الخلاف يعود إلى أنني كتبت ذات مرة أن الحبيب شيبوب إذا رحل عنا فلن نخسر الكثير لأنه لا يؤمن بالكتابة، كتبت ذلك لأنه حزّ في نفسي أن من يتمتع بذاكرته ومعارفه لا يحولها إلى الكتب، كنت أحسب أنني بذلك سأدفعه

إلى الكتابة وإصدار الكتب وهو قادر على ذلك، غير أن المسألة آلت إلى خلاف تصوّراتي.

لقد نشر المرحوم الحبيب شيبوب عديد المقالات في مناسبات مختلفة وهي قليلة إذا قارناها بمعارفه ومعلوماته فإلى وفاته لم ينشر سوى كتابين أحدهما عن الزعيم الحبيب بورقيبة والثاني عن الصحافي نور الدين بن محمود إضافة إلى نشريات صغيرة لا تتجاوز الصفحات العشر حول بعض الأعلام، وهذا أمر نستغربه.

لم تكن للمرحوم شيبوب معارك معي فقط بل كانت له العديد من المعارك مع العديد من الشخصيات الثقافية المعاصرين له أمثال حمادي الساحلي وعبد المجيد الساحلي وأبو القاسم محمد كرّو وجعفر ماجد ومحمد حمدان... الخ.

استهلكته الأحاديث الإذاعية والملتقيات والجلسات وكان بإمكانه توظيف جهوده لتوثيق معارفه وآرائه وكل ما أرجوه هو أن يتصدى أهله لنشر ما خلفه من مقالات وقصائد نشر بعضها في الفكر والعمل والصباح والهداية والصادقية والهلال والمنهل وأن يحسنوا التصرف في ما أنفق عمره في جمعه من جرائد ومجلات وقصاصات ضمتها العديد من الملفات فهي أرشيف على غاية من الأهمية لو عرف أهله كيف يتم التصرف فيه.

شخصيته تذكرني بشخصية محمد الصالح المهيدي في طريقة التوثيق بل ربّما أخذ الأول عن الأخير في طريقة التوثيق مع الفرق أن المهيدي كان كثير النشر والأول كان قليل النشر.

لقد خسرت الثقافة التونسية -دون شك- رجلا في حجم سي الحبيب ولكنه - رحمه الله- ساهم في ذلك بقسط وافر لأن

الذي يكتب كتبا لا يموت إذ تبقى كتبه دالة عليه وهذا ما يعنيه ذلك المثل القائل بـ: فضل من يكتب على من لا يكتب.

أبو القاسم الشابي
شاعر الخلود
[1909ـ 1934]

هل يحتاج شاعر تونس الأول إلى أن يكتب عنه إلى جانب ما كتب وما ألف عنه وعن شعره؟ طبعا: نعم. فهو الشاعر الخالد الذكر والذي يستهوي الأقلام والباحثين للكتابة عنه.

كرّس الأستاذ أبو القاسم محمد كرو – أطال الله عمره- جزءا كبيرا من حياته في التعريف به شرقا وغربا وجمع عنه ما كتب بجميع لغات العالم وألف حوله مكتبة لم تؤلف عن سابق أو لاحق في تاريخ الثقافة التونسية. ستحتفل بلادنا سنة 2009 بذكراه المائة ولا أعرف إن أعدت العدة لهذا الحدث الجلل أم أن هناك من هو بصدد التأليف في صمت.

وقد يتساءل البعض وماذا يمكن أن يقال عن الشابي أكثر مما قيل؟ أجل إن ما لم يقل عن هذا الشاعر أكثر مما قيل رغم أنه لم يعمر إلا ربع قرن من زماننا هذا.

في ظرف ربع قرن ألف الشابي الأشعار فكان رمزا للتجديد والابتكار.

في ظرف ربع قرن ألف الشابي كتابه "الخيال الشعري عند العرب" حيث أسال الأقلام وحرك السواكن.

في ظرف ربع قرن ألف الشابي الرسائل فعدّت مادة للدرس والنظر.

في ظرف ربع قرن ألف الشابي المقالات النقدية والآراء الأدبية كأنه كان يعرف أن زمن إقامته جد محدود فكان يكتب ويكتب وكأنه خلق للكتابة والإبداع، كان ولا يزال منارة في عصره وشعلة حاول الكل أن يمسك بنارها. كان لا يزال عرضة لغيرة الشعراء ولا يزال عرضة لدراسة الباحثين وكتابة الموثقين.

وهو بمثابة الطفرة الأدبية حتى أنه لم يستطع أن ينبغ شاعر يقدر على تجاوزه.

أقيمت له الذكريات والاحتفاليات فكثرت الندوات الأدبية والفكرية التي تبحث عن سر عبقريته وتسعى إلى معرفة سرّ خلوده.

أطلق اسمه على الشوارع والأنهج ودور الثقافة وغيرها كاعتراف بما قدم للثقافة التونسية.

ما أقترحه من خلال هذه السانحة أن يقع الاستعداد لمائوية ميلاده التي ستكون سنة 2009 كما ذكرت ومن بين ما يجب القيام به:

أن تقام مكتبة للشابي تجمع فيها كل ما كتبه وما كتب عنه وتضم صوره وآثاره ومخلفاته وليت ذلك يتم في منزله الذي شاهدنا خرابه في توزر.

وأن يواصل باحث أو موثق جمع ما كتب عنه فيصدر الجزء الثاني من دليل الباحثين عن الشابي ذلك أن الأستاذ أبو القاسم

محمد كرو قد أعد الجزء الأول ورغم الهنات والغلطات التي أوقعه فيها معينه في ذلك العمل فإن ذلك الكتاب يعد مرجعا حقيقيا فليت هناك من المغرمين بالشابي من يواصل ذلك العمل وأعلم أن الأستاذ كرو يمتلك كتبا أخرى لم يصدرها عن الشابي فليته يفعل ويصدره في مائويته وبذلك يكون قد أنجز حرّ ما وعد.

علي الدوعاجي
فنان الغلبة
[1909_ 1949]

هو أب القصة التونسية كما يحلو للأستاذ توفيق بكّار أن يقول عنه عصامي لم يعرف قسوة المدرّسين وشدّتهم على تلاميذهم فنشأ وحيد والدته مدلّلا لا يحمل همّا ولا يشعر بمسؤولية.

كان ليله نهارا ونهاره ليلا حتى غدا رمزا للبوهيمية وانتمى لجماعة تحت السور بل كان عمدتهم ولا يلتئم لهم مجلسا إلا بحضوره ولا يلتئم شملهم إلا بمزاجه.

كتب الأزجال والقصة والريبورتاج الصحفي وجرّب الرسم والكاريكاتور وكتب المسرحية وأذاع الأحاديث في الإذاعة التونسية غداة تأسيسها سنة 1938.

عرفت مجلة العالم الأدبي لزين العابدين السنوسي بعضا من أقاصيصه ورسومه ولما انتهى عهدها واختفى بريقها أسّس جريدته "السرور" ساخرة، ضاحكة، هزلية، كاريكاتورية، ناقدة، لاذعة، فلما انتهى عهدها واختفى بريقها نشر جولته بين حانات البحر المتوسط في المباحث التي أسسها محمد البشروش وواصل رئاسة تحريرها محمود المسعدي إلى أن انتهى عهدها

واختفى بريقها فواصل نشر إنتاجه في مجلة الثريا لصاحبها نور الدين بن محمود إلى أن انتهى عهده وانقطع عن الناس ذكره وغادر الدوعاجي دنيانا غير آسف على ليل لم يعش ظلمته ولا على نهار لم يمتع ناظريه بنوره.

عاش حياته بالطول والعرض، كما يشتهي أن يعيشها الفنان ويحياها الكاتب المحترق بلظى الحرف والكلمة.

هو على حدّ عبارة زين العابدين السنوسي "من ضحايا النبوغ الباكر" فارق الدنيا في ريعان الشباب وكتب ما كتب وألف ما ألف.

اعتنى به الأديب الكبير عز الدين المدني فتوفيق بكّار فرشيد الذوادي فدرّة المشّاط – وهي من الجيل الجديد- ولا يزال يتواصل ذكر الدوعاجي كأديب وزجّال ومسرحي ورسام وصحافي وفنان أطلق اسمه على بعض دور الثقافة وعلى بعض الأنهج... الخ ووقع تكريمه وإحياء ذكراه العديد من المرات ورغم ذلك فإن أعماله الكاملة لم تطبع وليت بعض دور النشر تتصدى لذلك. ولم لا يتم طبع أعماله ضمن سلسلة أمهات الكتب؟ خصوصا وأن أدبه يمثل الأدب التنويري والطلائعي الذي يستحقّ أن يكون نموذجا للإبداع الذي نريد.

لقد مثّل علي الدوعاجي ثقافة الهامش وهل تحيا الثقافة خارج الهامش؟

لقد مثّل علي الدوعاجي نموذج العصامي وهل ثمة من هم أخطر من العصاميين؟

لقد مثّل علي الدوعاجي فنان الغلبة وهل الفنان في حياته خرج عن كونه فنان غلبة؟

إن الدوعاجي رمز للثقافة الحية وللحياة الأدبية الثقافية الحق وهو لكل هذا أحد أبرز رموز الذاكرة الحية والأدب الحي.

منور صمادح:
الفردوس المغتصب
[1931ـ 1998]

عندما أصدر منور صمادح ديوانه البكر "الفردوس المغتصب" سنة 1954 أقامت له رابطة القلم الجديد (1952) بقاعة الخلدونية حفلة تكريمية كانت هي الرابعة في تاريخ حفلات التكريم التي أقيمت للأدباء الأحياء قبل الاستقلال.

فالأولى أقيمت لأمير الشعراء محمد الشاذلي خزندار بمناسبة ظهور الجزء الثاني من ديوانه وفيها بويع بإمارة الشعراء في تونس.

والثانية أقيمت للطاهر الحداد بمناسبة صدور كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" (1930).

والثالثة أقيمت لمحمد المرزوقي بمناسبة نجاح تمثيلية "الوفاء في الحب" وفوز رواية "ضدان" بجائزة البلدية.

والرابعة كما ذكرت لمنور صمادح في التاريخ والمناسبة المذكورين أعلاه.

وسر نبوغ منور هو عصاميته، إذ ابتدأ حياته "فطائريا" وانتهى شاعرا من كبار الشعراء.

مرت حياته بصعوبات ومحن عدة، كان الفضل في تذليل بعضها إلى أب حركة التحديث الأدبي في الثلث الأول من القرن العشرين زين العابدين السنوسي.

فهذا الأخير اكتشف موهبته واعتمده مراسلا صحفيا، إلى أن أصبح أحد محرري جريدة "تونس" ومنها كانت انطلاقته الأولى بل أصبح من المشرفين على تحرير الصفحات الأدبية وجريدتي "البلاغ" و"الأخبار" ويمكن اعتباره أحد أبرز مؤسسي "رابطة القلم الجديد" بل أحد المدافعين عنها وعن برامجها وتصوراتها ومن بين آرائه في هذا الميدان ما جاء في مقاله الافتتاحي بجريدة الأخبار قوله :

"لم يعد الأدب تسلية يلتجئ إليها الهاربون من جد الحياة (...) وأمتنا التونسية الباكية أليست في حاجة إلى من ينفض عنها غبار الخمول والركون؟ أليست في حاجة إلى أدب واقعي يكون البلسم الشافي والغذاء الكافي؟ إنها شاعرة أيها الأدباء. إنها قطعة من الإنسانية. إنها منكم وإليكم فعلام تضنون عليها بما منحته لكم سماؤها من إلهام وأرضها من وحي".

هذه صرخة من صرخات منور صمادح التي بوأته ليكون أحد رموز الأدب والثقافة فضلا عن أشعاره وما تحتوي عليه من قيم سامية عجز غيره من مجايليه عن الإتيان بمثل ما أتى.

تمكن منور صمادح "الفطائري" أن يصبح أحد الأصوات الإذاعية الشهيرة التي توجه الذوق وتفعل فعلها في خلق الله، بل تعلم التلحين وأصبحت قصائده تغنى بألحانه.

سافر إلى بقاع مختلفة من العالم وتعرف على الحضارات واطلع على عادات الأمم الأخرى وتقاليدها... عاش حياة لم

يكن يحلم بها لكنها لم توهب له بل فرض نفسه وافتك نصيبه من الدنيا.

في نهايات حياته تعرض إلى مرض نفساني ألزمه الالتحاق بمستشفى الأمراض النفسية... وتاريخ الأدب يحدثنا عن عديد العظماء الذين أنهوا حياتهم على طريقة منور.

لم تنته حياته بل نال أول جائزة في عهد التغيير في أول يوم وطني للثقافة وهي "الجائزة القومية في الآداب والفنون لسنة 1987"، طبعت أعماله الشعرية الكاملة وصدرت عن بيت الحكمة وأقام له الدكتور محمد صالح بن عمر ملتقى لدراسة أعماله وأقام له بيت الشعر ملتقى آخر سنة 1999 بإدارة الشاعر المنصف المزغني وأصدر له شقيقه عبد الرحيم – رحمه الله- جزءا من أعماله النثرية عن دار نوافذ وبذلك أصبحت لمنور حياة أخرى ووجودا آخر ورغم ذلك فإن منور جدير بمزيد العناية والدراسة والجمع لبقية آثاره والاحتفاء به أكثر كرمز من رموز التفوق الأدبي في بلادنا.

نذكر من أعماله "فجر الحياة" و"الفردوس المغتصب" و"صراع" و"أدب وطرب" و"الملاك العائد" و"نسر ونصر".

ترجمان القرآن الكريم: الصادق مازيغ [1906ـ 1990]

ولد محمد الصادق مازيغ يوم 16 جويلية 1906 وتوفي يوم 14 مارس 1990 ، والدته هي حفيدة أحد شعراء القرن التاسع عشر أعني الباجي المسعودي الذي كانت "الرائد التونسي" و"الحاضرة" تعجان بشعره وربما جذوة الشعر جاءته من أمه وهو إن شئنا تصنيفه؛ مدرسي، حيث زاول تعلمه الأول بمدرسة نهج "التريبونال" وفي سنة 1918 التحق بالمعهد الصادقي فدرس به إلى أن أصبح أستاذا يدرس فيه وامتلك اللسانين وأصبح من نوابغ اللغتين.

أبرز ما عرف به مازيغ في الوقت الراهن أنه قام بترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة شهد لها من امتلك ناصية لغة موليار بأنها من أرقى الترجمات وأبدعها ويعود اهتمامه بالقرآن الكريم إلى فلسفته في الحياة التي لخصها بقوله: "لابد من العودة إلى الروح الإسلامية التي هي عطف ومحبة وسلام وعدل والقيم الروحية والإنسانية هي الغذاء الأساسي للأدب... إذن ينبغي الرجوع إلى القرآن الذي يحمل الأدب والشعر والبلاغة والحكمة لأن القرآن كتاب عظيم فيه كل القيم والمبادئ العظيمة".

وما يذكر حول ترجمته لمعاني القرآن الكريم أنه لم ينل حقوقه كمعرب وهو ما جعله ينكمش على نفسه قبيل وفاته ومما اعترضه في بداية حياته أنه تولى جمع إنتاجه من شعر ومسرح وتعريب ليدفع بها إلى النشر فطالتها يد خبيثة حيث نهبته أعز ما يمتلك في الحياة فكان رحمه الله يعاني الخيبة تلو الخيبة.

من إنتاجه المطبوع نذكر: "بين عصرين" وديوان "ضياء" وتعريب كتاب عنوانه "رسائل من السجن" للدكتور أحمد طالب الإبراهيمي.

كان يمضي باسم مستعار هو "أبو حيان" حيث نشر ما سمي بـ"رسائل أبي حيان".

نشر إنتاجه في مجلات العالم الأدبي والجامعة والمباحث والثريا والندوة والفكر وجوهر الإسلام وفي جرائد الأسبوع والصريح والنهضة والزهرة وتونس والصباح والعمل والشعب فعرب قصائد لأكبر الشعراء الفرنسيين ونظم على غرارهم وألف للمسرح وكتب القصة وكان إلى جانب شاعر الجم محمد زيد شاعر مجلة المباحث دون منازع.

ولعل ما أنجزه مازيغ في عصره يستحق أن تعرفه الأجيال الجديدة وتعرف حجم عطاءاته الإبداعية والفكرية فليت تقام له الذكريات ويجد من الناشرين من يتصدى لإعادة نشر ما طبع ونشر ما بقي مركونا في الجرائد والمجلات.

الصحافي الأديب
نور الدين بن محمود
[1914ـ 1990]

هو إذا أردنا أن نلخص مسيرته في كلمات مختصرة صحافي مبتكر ومبدع، متميز في مجاله عرفته الصحافة المسموعة قبل الصحافة المكتوبة، إذ اشتغل مذيعا بالقسم العربي للإذاعة التونسية غداة تأسيسها سنة 1938 وبعد أقل من خمس سنوات أصبح كاتبها العام فكان بذلك الثاني بعد المرحوم عثمان الكعاك...

ومن هنا يمكن أن نتحدث عن ابتكاراته، فمن كان يذيع الأحاديث في ذلك الوقت هم علية القوم من النبغاء والأدباء والكتاب أمثال حسن حسني عبد الوهاب ومحمد الفاضل ابن عاشور وعلي الدوعاجي وعثمان الكعاك ومحمد الصالح المهيدي...الخ.

فأسس مجلة الإذاعة وأطلق عليها اسم الثريا وهو اسم يقرب من الأثير أي أن ما تبثه أمواج الأثير تلقطه الثريا، فكانت المجلة تضم خيرة الكتاب والأدباء وتصدر في شكل أنيق لم يسبق للمجلات أن صدرت في حلتها كحلّة الثريا ولا في نوع ورقها كالنوع الذي كانت تصدر به الثريا وليس هنا مجال تفصيل ذلك.

بعد توقف الثريا أصدر نشرة "المروج" وبعدها أصدر أربعة أعداد من "الأفكار" وهي مجلة حسنة المنظر غزيرة المحتوى ثم أصدر بعدها جريدتي الأسبوع والأيام.

وعندما هاجر اضطراريا من تونس قبيل الاستقلال إلى فرنسا أصدر فيها مجلة الجامعة صحبة الكاتب السوري إحسان حقي.

ومهما يكن من أمر الرجل وما فعلت به السياسة فإنه من خيرة كتاب الصحافة ببلادنا وقد كان له الفضل في نشر العديد من أشعار الشابي وإنقاذ العديد من الأحاديث الإذاعية لأعلام كبار.

أحدث في مجلة الثريا سانحة كهذه التي نكتبها تحت اسم "هل تريد أن تعرف؟" عرّف فيها بالعديد من أعلام الثقافة والأدب في عصره وقد كانت تصدر في اغلبها بقلمه موشحة بريشة عمر الغرايري الرسام الكاريكاتوري.

ولو قام بهذا وحده دون غيره لكفاه ذلك ليكون أحد أبرز أعلام ثقافتنا.

حوله قامت بيني وبين المرحوم الحبيب شيبوب معركة في الصحافة وقد أصدر عنه هذا الأخير كتابا في سلسلة "ذاكرة وإبداع".

وأعلم أن له "مذكرات" كتبها ولم تنشر وليت ابنته الحكيمة "عطف" توجه العناية لإصدار آثار والدها من شعر وقصة ومسرحية ومقالات صحفية فتراث نور الدين بن محمود جدير بأن يرى النور وتطّلع عليه الأجيال.

وليت هناك من الناشرين من يتصدى لإعادة طبع مجلاته وعلى رأسها مجلة الثريا التي تعدّ سجلاً للحياة الأدبية والثقافية في فترتَيْ الأربعينات من القرن الماضي.

محمد المرزوقي
عالم المرازيق
[1916ـ 1981]

أحب المرازيق حبا جما فألف عنهم ما لم يؤلفه كاتب أو باحث أو محقق. جاء إلى العاصمة في وقت مبكار فكرس حياته الأولى لطلب العلم وحصل على شهائد الجامع الأعظم وصرف جزءا من حياته إلى النضال في صفوف الحزب الدستوري.

ألف عندما كان التأليف عزيزا فكتب القصة والبحث والدراسة والشعر والأزجال وجمع ووثق وحقق.

اشتهر في الإذاعة بـ"أحاديث السمر" وفي مجال الأغنية لحن أشعاره خميس الترنان وصالح المهدي ومحمد التريكي وأدى أغانيه كبار الفنانين التونسيين من بينهم صليحة وعلية عندما ألف للمسرح اشتهر بأم عباس وبالجازية وضدّان التي فازت سنة 1950 بجائزة البلدية.

ألف كتابا عن "الطاهر الحداد" وآخر عن "معركة الزلاج" وآخر عن "ثورة المرازيق" وآخر عن "البدو في حلهم وترحالهم" وآخر عنوانه "دماء على الحدود" وفي القصة له "جزاء الخائنة" و"بين زوجتين"... وفي الشعر له "بقايا شباب"... وتميز باعتنائه

بالأدب الشعبي فجمع أقاصيصه وأمثاله و"محلات شاهد" وحقق دواوين الشعراء الشعبيين...

لم يترك ميدانا من ميادين الكتابة ولم يسهم فيه ولم يلق بدلوه فيه فكان موسوعة عصره وعادة ما يُتَّهم المكثر في الكتابة والتأليف بالإسفاف إلا المرزوقي فإن كتبه كانت ولا تزال من أهم المراجع وأبرزها ولا مناص للباحثين من اعتمادها والرجوع إليها.

أقيمت له في حياته حفلات التكريم بل إن ثالث حفلة تكريم في تاريخ الأدب التونسي أقيمت لأديب في حياته كانت للمرزوقي إذ كانت الأولى لأمير الشعراء الشاذلي خزندار عندما بويع بإمارة الشعر والثانية كانت للطاهر الحداد إثر إصدار كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" والثالثة كانت للمرزوقي.

وأقيم له مهرجان لتخليد ذكراه في مسقط رأسه دوز وبقي المهرجان منتظما في دوريته إلى أن انقطع فجأة وبدون موجب ولا نعرف سببا مقنعا للانقطاع عن ذلك المهرجان فهل للمرازيق من هو في قيمة محمد المرزوقي حتى لا يقيمون له الاحتفاليات؟

وأذكر أنني شاركت في بعض تلك الملتقيات وقد عملت المكتبة المحلية بدوز على جمع آثار الراحل وتخصيص ركن في المكتبة لتضم كل أعماله وقد وعد الدكتور رياض المرزوقي بأن يثري تلك المكتبة بما يتوفر لديه من مؤلفات أنتجها والده ولا أعلم أين وصل ذلك المشروع؟

بل إني أعلم أن الفقيد ترك العديد من المؤلفات المخطوطة التي تنتظر الطبع كتحقيق ديوان أمير الشعراء الشعبيين "البرغوثي" وهو ينتظر الناشر الذي يتصدى له بالنشر.

ثم لماذا لا تفكر الدار العربية للكتاب بطبع الأعمال الكاملة للمرزوقي ضمن سلسلة أمهات الكتب لأن كتبه من المراجع المصادر التي يحتاجها الباحث والمحقق.

إن ما قدمه المرزوقي للثقافة التونسية من جليل الأعمال ليستحق الكثير من الاعتناء حتى لا نضيّع إرثا عظيما من ذاكرتنا التي تستحق الجمع والتعريف ومنارات تلك الذاكرة يستحقون التعريف بجهودهم وجليل مآثرهم.

الشاعر مصطفى خريف

[1967-1910]

عندما جدّت معركة الشعراء الثلاثة في تونس في بداية ثلاثينات القرن العشرين لم يفز فيها الشابي ولا خريف ولا الحليوي وبقدر ما كشف ذلك الاستفتاء الشعري عن الذوق السائد في العصر فإنه كشف مشاعر الشعراء تجاه بعضهم البعض.

عندما سئل خريف عن شاعر تونس الأول قال هو الشابي وعندما سئل الشابي عن شاعر تونس الأول قال هو خريف. المسألة تتجاوز المجاملة والأخذ بالخاطر وإنما تعكس الذوق إذ لِم لم يختر الشابي شاعرا آخر كالحليوي أو البشروش أو كرباكه أو... أو... وإنما قال مصطفى خريف؟

يعتبر مصطفى خريف من أشعر شعراء تونس على الإطلاق، ديوانه الأول يكاد لا يعرفه العديد من هواة الأدب والمشتغلين بتاريخه واسمه "الشعاع" صدر في منتصف الأربعينات وديوانه الثاني الأشهر اسمه "شوق وذوق".

في ديوانيه عكس عاطفة فياضة وإحساسا رقيقا ووهجا رومانسيا لم يتوفر لشاعر غيره أو لنقل لم يتوفر بنفس الكيفية التي توفر بها له.

عاش مصطفى خريف حياة بوهيمية فهو من جماعة "تحت السور" لذلك لا يمكن فهم شخصيته خارج هذا الإطار الذي شكل رؤياه الشعرية وجعلته يكتب شعرا على النسق الذي كتب.

ناصر الحداد في أزمته وأهداه قصيدة في ديوانه الأول وذكره في مقالاته التي جمعت فيما بعد في كتابه "نحن نمشي" وهذا يدل على التزامه بقضايا عصره وإيمانه بأن الأديب صاحب رسالة لا يمكن إلا أن يفي بشروطها.

أصدر له المركز الوطني للاتصال الثقافي فيما بعد كتابا رابعا عنوانه: "دموع القمر" وهو مجموعة قصصية وبذلك تمكن خريف من الجمع بين فني النثر والشعر إلى جانب النقد الأدبي والاجتماعي.

كل هذا يدل على أهمية مصطفى خريف في المشهد الثقافي والتاريخ الأدبي ببلادنا وقد أقيمت له عديد الذكريات بعد وفاته لعل أبرزها التي أقيمت له في نفطة سنة 1987 بمناسبة مرور عشرين عاما على وفاته وقد بقي ملتقاه منذ ذلك الحين يظهر حينا ليختفي أحيانا وقد أطلق اسمه على مدرسة أدبية وعلى مكتبة محلية وكان من المفروض أن يتم ترميم ضريحه وتزويد مكتبته بالمراجع والوثائق ولكن شيئا من ذلك لم يتم فهل هذا ما يستحق مصطفى خريف؟ ولماذا لا تهب له غير الجهات الثقافية لتحيي ذكراه، كالإذاعة التونسية مثلا؟ ألم يكن مصطفى خريف أحد أبرز بناتها وأحد أعمدتها؟

ولماذا لا تقام ذكراه بانتظام؟ ولماذا لا يتخذ ملتقى مصطفى خريف ذريعة لتطارح قضايا الشعرية والمعاصرة... الخ؟

إننا نلفت الانتباه لعل أفريل القادم يكون فرصة لتدارك ما فات وما اقترفناه في حق شاعر كبير في حجم مصطفى خريف؟

المنصف شرف الدين

عندما يهديك الأستاذ المنصف شرف الدين بطاقة زيارته الخاصة تلحظ أمرين: أنها مكتوبة بالعربية والفرنسية وتحت اسمه اختار لنفسه صفة: "أديب" "Homme de lettres". لم يصنف نفسه في دارة الموثقين ولا المؤرخين ولا الصحافيين لاعتباره أن الأدب هو الأخذ من كل شيء بطرف.

اشتهر الأستاذ المنصف شرف الدين بأنه من جماعة نادي الخميس فهو من جلاس مكتبة العسلي بنهج جامع الزيتونة ومن أصدقائه عبد القادر المعالج وحامد العجابي وفريد قطاط وصالح العسلي...

واشتهر بأنه صاحب المقص والمسطرة الصغيرة كجماعة الهندسة غير أن له فيهما مآرب أخرى... فهو يستعمل المقص ليقتطع به القصاصات المتعلقة بمواضيع تهمه أما المسطرة فيستعين بها على إمضاء توقيعاته.

قصير القامة، في لسانه لكنة زادت نطقة رونقا وجمالا وميزت صوته عن سائر أصوات خلق الله.

مغرم إلى حد الهوس بتاريخ المسرح والسينما فهو عالم عليم بأمر هذين القطاعين ولا يوجد في الوقت الحاضر من هو أعلم منه ولا يتكلم في موضع إلا واعتد له بالوثائق والمراجع ولكنه يتحدث فيه بلغة بسيطة سلسة قريبة من الأفهام، كيّس،

لطيف، هادئ، ليس بالدّعي ولا يتكلّم في موضوع لا يعرفه، على غاية من التواضع، يضع على رأسه في الشتاء قلنسوة مرسيلية فتخاله أحد أبطال الأفلام الذين كانت تبثهم التلفزة قبل حلول عهد البرابول.

ما يتميز به الأستاذ المنصف شرف الدين أنه يحذق اللغتين العربية والفرنسية على حدّ سواء بل يكتب بهما فتجد متعة فيما تقرؤه له.

هو من المقلين في ميدان التأليف بالمقارنة مع غزارة معلوماته ولكن تآليفه القليلة عظيمة الفائدة غزيرة الطرح والفكرة.

ما يعجبني في الأستاذ المنصف شرف الدين هو تواضعه وقدرته على الإنصات إلى الآخر، إذ يقدر أن يجلس إلى طاولة دون أن يتكلم فتلحظ في عينيه عدم الموافقة أحيانا والإعجاب أحيانا أخرى، ولكنه يمتص منك كل ذلك بابتسامته الهادئة فيجعلك تشعر أنه في موقف المحايد، فقط يريد أن يفهم.

يعتبر الأستاذ المنصف شرف الدين من أعلام الثقافة التونسية ومن فرسان المشهد الثقافي ولم ينل في تقديري إلى غاية اليوم ما يجب أن يناله وهو جدير بكل احتفاء وبكل تكريم وكل ما أرجوه أن ينشر مقالاته التي كتبها في مختلف الجرائد حتى يعزز رصيده في التأليف والترجمة.

فاتني أن أقول إنه إلى جانب اعتنائه بالمسرح والسينما فقد اعتنى بالتعريف بكبار الأدباء الفرنسيين الذين زاروا تونس وألّف كتبا هي من أهم المراجع في هذا الباب أطال الله في عمره حتى تستفيد الأجيال من غزير معارفه بالميادين التي سخر لها حياته.

عالم الآثار حامد العجابي

لا يمكن الحديث عن العالم الجليل حامد العجابي دون التوقف عند شجرة العائلة التي برز منها :

العجاجبة هم من أعيان مدينة ماطر بل إن عائلة العجابي تدلّ على ماطر وقد اختص العجاجبة باختصاصات مختلفة فمنهم من عرف بالطبخ ومنهم من عرف بصنع الحلويات التونسية ومنهم من عرف بالإقطاع والفلاحة ومنهم من عرف بالعلم والأدب والإمامة والخطابة ومن هؤلاء سي الصادق العجابي إمام الجامع الكبير وسي محمود العجابي إمام جامع الشهداء.

الأستاذ حامد بن مبروك العجابي من تلك الشجرة، شجرة العلم والمعرفة.

التحق الأستاذ حامد العجابي بالمتحف الوطني بباردو وكلف بإدارة محافظة مدينة تونس وترأس قسم المعالم والمواقع الأثرية وساهم في حفرية صبرة المنصورية وقام بأسبار جامع الزيتونة المعمور وكذلك بترميم بعض أجزائه وقام بحفرية قصر القائم بالمهدية. هو من بين قلة قليلة اختصت في الآثار بل نال إجازة من جامعة القاهرة فيما هو مختص فيه فهو عالم عليم بأعماله لم يدع التأريخ في حين ادّعى المؤرخون ما ليس لهم وما هم فيه غير مختصين.

ألف عن مسقط رأسه كتابا هو المرجع اليتيم والفريد عنوانه "وطن ماطر" وألف كتابا آخر عنوانه "المهدية والمنصورية: عاصمتان في العهدين الفاطمي والصنهاجي" وله قبل كل هذا كتاب في جزءين: "جامع المسكوكات العربية بإفريقية".

طويل القامة، أنيق المظهر، متزن الحديث، كثير الصمت، تشعر عندما تجلس إليه أنك تجلس أمام مجد عائلة عريقة وتنصت إلى عالم لا يكاد يرفع صوته إلا بما يوصل الصوت إلى آذانك، كيّس، محافظ، تقرأ الوقار عليه سواء عندما تلمحه يمشي أو أن ظفرت به جالسا في صباحاته بمقهى العالم "لونيفار" يهش ويبش ويقف ليحيى القادم إليه، فلتمس تواضعه وتدرك أن المهابة المرسومة على وجهه هي مهابة أصيلة غير مصطنعة ولا تكلّف فيها.

لا يحب الضجيج ولا بريق الإعلام بل يعمل في صمت ولا يصرّح بمشاريعه إلا إذا تهيأت للنشر بل حتى إذا صارت جاهزة مكتملة.

هو من الجيل الذي درس في المشرق العربي فدفع ضريبة اختياره ورغم ذلك فهو ليس بالشكّاء و لا البكّاء بل عرف كيف ينال ما يستحق ولم ينل ما يستحق أمثاله من الذين تحتاجهم البلاد.

ذلك هو حامد العجابي الذي يمرّ أمامك فلا تكاد تنتبه إلى مروره، كأنه لا يطأ الأرض بقدميه من شدّة التواضع وهو عارف بالرجال وعالم بالأعمال ومقدّر للعاملين ومحبّ للمجتهدين.

لم ينل حامد العجابي وساما ولا جائزة ولكنه نال تقدير من يعرف قدره ومكانه ونال عضوية المنظمة العالمية للمعالم

والمواقع وعضوية المنظمة العالمية للمتاحف وعضوية جمعية التاريخ والآثار، وهذا النوع من العاملين في الأرض لا نعرف مكانتهم ولا نعرف قدرهم إلا بعد أن يذهبوا عنا فأطال الله في عمره حتى تستفيد البلاد من غزير علمه ومعارفه.

توفيق بكار:
من مفاخر الجامعة التونسية

التصق اسم الأستاذ توفيق بكار بصالح القرمادي صاحب "اللحمة الحية" وكان ممن دافعوا عن حركة الطليعة الأدبية بكل جرأة في زمن كانت فيه الجرأة تعني الكثير.

إذا تحدّثنا عن الجامعي الذي أدخل الأدب التونسي إلى الجامعة فإننا نعني بالضرورة توفيق بكار.

عشق علي الدوعاجي وكان يأمل أن ينجز حوله دكتوراه الدولة ولكنه لم يحقق مرغوبه لظروف عدة.

كتب عن الشابي والحداد والهادي العبيدي وجماعة تحت السور ودافع عن ثقافة الهامش أساسا.

وإن يحسب لتوفيق بكار الجامعي هذا فإن شيئا آخر قام به لا يقل خطورة عن ذاك وهو قدرته على تطويع المناهج الغربية لتحليل النصوص الأدبية قديمها وحديثها على حدّ سواء إلى درجة أنه سن طريقة مخصوصة في التحليل والنقد واستنطاق النصوص وبقي دهرا لا يعير أهمية إلى دروسه ولا يراها مؤهلة لتكون بين دفتي كتاب حتى صارت عرضة للنهب والسرقة بل هناك من تبناها وأصدرها باسمه الخاص لا داعي لإعادة إثارتها في هذا الموضع.

وقد جرت لي شخصيا حادثة مع نص من نصوصه إذ كنا في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بمنوبة ندرس قصيدة أبي نواس

"المغتسلة" وكان يشرحها لنا أحد أساتذة الأدب القديم – وهو اليوم من المرموقين- ، كنت أتابع شرحه وأدركت أنه شرح الأستاذ بكار وعندما توجه إلينا بالسؤال أجبته بما قاله بكار ففهم أني أمتلك النص الذي هو بصدده دون الإشارة إليه.

وقد سعدت سعادة قصوى عندما نشر الأستاذ بكار بعض نصوصه في "شعريات عربية" و"قصصيات عربية" وقد كتبت عن هذا فلما اعترضني الأستاذ توفيق بكار قال لي : ما كان عليك أن تكتب وسامح الله أستاذك الذي تحدثت عنه وعلى كل ليس هو الوحيد من فعلها.

عندما التحقت بكلية الآداب سنة 1993 كان الأستاذ توفيق بكار قد فارقها إلى جامعة فانسان بباريس.

علمت فيما بعد أن كلية الآداب بمنوبة قد كرمته فأقامت ندوة مهداة إلى شخصه وكان ذلك أضعف الإيمان في تقديري لأن توفيق بكار يتجاوز أن يكون مجرد أستاذ جامعي بل هو فخر من مفاخر الجامعة التونسية ورمز من رموز الثقافة التونسية... دافع عن الجامعة في الساحة الثقافية ودافع عن الأدب التونسي في الجامعة التونسية وسعى إلى إقامة علاقة وفاق وانسجام فنشط النوادي الثقافية وحاضر وقدم العديد من الآثار وجعل من سلسلة "عيون المعاصرة" مطمحا من طموحات الأدباء والكتّاب حتى تنشر أعمالهم فهو من هذه الزاوية جدير بكل تكريم واحتفاء من طرف الجامعة التونسية ومن طرف الساحة الثقافية وليته يواصل ما أقدم عليه فينشر كل نصوصه حتى تكون مرجعا للأجيال.

وليت هناك من الجامعيين من يتصدى لتكريم توفيق بكار فيصدر عنه عملا نقديا وبذلك تكون الجامعة قد كرّمته كما كرمته الساحة الثقافية.

محمود بيرم التونسي
شيخ الزجّالين
[1960-1893]

أول آه وثاني آه وثالث آه

الأوله مصر قالوا تونسي ونفوني

والثانية تونس وفيها الأهل جحدوني

والثالثة باريس وفي باريس جهلوني

الأوله مصر قالوا تونسي ونفوني جزاة الخير وإحساني

والثانية تونس وفيها الأهل جحدوني وحتّى الغير ما صفاني

والثالثة باريس وفي باريس جهلوني وأنا موليير في زماني

زجل من أروع الأزجال لخص فيه محمود بيرم التونسي حياته فحدد أماكن إقامته وأسباب نفيه من مصر إلى مصر. "تعب كلها الحياة" على حد عبارة الشاعر. امتهن محمود بيرم التونسي مهنا أذاقته الويلات، عرف فيها الجوع والحرمان والخوف وقسوة الزمان، فخبر الحياة إلى أن أصبح أبرز خبرائها فأنطقته المأساة أدبا قاسيا ونقدا لاذعا كان سببا في محن لا عدّ ولا حصر لها.

ولد محمود بيرم التونسي في الإسكندرية ولا يهمنا من حياته إلا الفترة التي عاشها في تونس فقد استقدمه المناضل محمد بدرة من باريس إلى تونس ليوظفه ضدّ الحزب القديم فترأس لفترة قصيرة جريدة الزمان التي كان يرأس تحريرها عبد الرزاق كرباكة ثم محمد الصالح المهيدي... الخ.

آثر محمود بيرم التونسي أن يحدث جريدة لنفسه أطلق عليها اسم "الشباب" لم يصدر منها سوى عشرين عددا وهي من الجرائد الهزلية الساخرة، الضاحكة، الناقدة وفيها شنّ حملة شعواء على الشيخ المناضل عبد العزيز الثعالبي فصوره وهو يجر الجمال وراءه والجمال محملة ببضائع المشرق العربي وإلى غير ذلك من الصور الكاريكاتورية المضحكة وأحدث ركنا لشتم شيخ مدينة تونس المناضل الطاهر صفر والمطربة شافية رشدي.

وركنا آخر عنوانه "الأبطال بالريشة والقلم" عرّض فيه بخيرة التونسيين أمثال عبد العزيز العروي وزين العابدين السنوسي وحمودة بوسنّ والطاهر صفر... الخ، ولم يترك سياسيا أو مثقفا إلا وانتقده بل وبالغ في انتقاده واستفزازه.

وإن كان يمكن أن نطلق عليه الأب الروحي لجماعة تحت السور فهو الذي شجعهم على الرفض والبوهيمية والضرب بقوانين المؤسسة عرض الحائط... فعل ما فعل إلى أن تم نفيه ولكن فترة إقامته بتونس أثمرت مذكراته وبعض أزجاله وبعض مقالاته ولونت الحياة الثقافية والأدبية في تونس بلون آخر.

كان مروره بتونس بمثابة العاصفة المفاجئة التي لم تتحملها الحياة الثقافية والأدبية وحتى السياسية.

ألّف عنه الدكتور محمد صالح الجابري مجلدين ضخمين صدرا عن دار الغرب الإسلامي وجمع الطاهر وطار مذكراته

بإيعاز من الأستاذ أبي القاسم محمد كرو ومساعدة العلامة عثمان الكعاك ثم أعاد الدكتور فوزي الزمرلي طبع مذكراته في دار الجنوب للنشر مضيفا إليها فصولا أخرى وأحيت تونس مائوية ميلاده وصدر عنه طابع بريدي فتم بذلك تكريمه وهو يستحق أكثر لأنه أخلص للأدب حسب المنظار الذي رأى أن يكونه الأديب في عصره.

إن بيرم التونسي علم من أعلام الثقافة التونسية. أصدرت دار الكتب الوطنية جريدته ونرجو أن تتصدى لها دار نشر لتعيد طباعتها لأنها قادرة على إعطاء فكرة عن المشهد الثقافي في الثلث الأول من القرن العشرين.

الأديب الكبير
محمود المسعدي
[1911ـ 2005]

للأستاذ محمود المسعدي أوجه مختلفة فهو الأستاذ والمربّي الذي صرف جزءا من حياته في التربية والتعليم وهو النقابي الذي آزر فرحات حشاد ودافع عن حقوق العمال وهو الصحافي الذي ورث مجلة المباحث عن محمد البشروش وترأس تحريرها وهو المناضل الدستوري الذي سخّر جهده ووقته في الدفاع عن خيارات الحزب الجديد وهو الوزير صاحب الوزارتين: التعليم والثقافة وما أدراك ما هذين القطاعين وهو رئيس مجلس النواب الذي أدار النقاشات وترأس الجلسات و... و... وهو الأديب والكاتب الذي استطاع بكم قليل أن يكتب عنه الكثير فأي وجه من وجوه المسعدي نريد؟ وعن أي شخص من هؤلاء نعمد إلى الحديث والتفصيل؟

ذلك هو السؤال الذي يحير إزاء شخصية الأستاذ محمود المسعدي. بعضهم يعتبر أن سرّ شهرته الأدبية تكمن في وجود نصوصه في البرامج المدرسية وبعضهم يعتبر أن ما كتبه طه حسين عنه هو السبب عينه وبعضهم يعتبر أنه قد سنّ في الأدب طريقة

في الكلام مخصوصة لم تتح لغيره من السابقين ولا اللاحقين وأنا أميل إلى هذا الرأي.

سمعته مرة في حديث إذاعي يقول: "ما وضعت كلمة في كتابي السد إلا واحتجت الرجوع إلى القواميس" وقتها تساءلت بيني وبين نفسي: هل يحتاج المبدع إلى القواميس لكي يكتب؟ هل يكتب المبدع نتيجة حالة نفسية أم يكتب الإبداع – خاصة – بوعي وقصد...؟ إلى أن أتيحت لي فرصة زيارته في منزله الكائن بقرطاج قبيل وفاته صحبة الشاعر الصديق صلاح داود وكان المسعدي – رحمه الله– في حالة ضنكى.

قدم إلينا بعد نصف ساعة من الانتظار فسلمنا عليه فأنصت إلينا ثمّ أخذ يحدثنا بعربية فحّة لا تختلف عن التي قرأناها في كتبه وكم تمنيت أن أسمع منه كلمة عامية. فالرجل على فراش المرض وكان يجهد نفسه إجهادا لأن ذلك طبعه وإنما العودة إلى القواميس للتأكد والتحرّي.

فالمسعدي من جيل لم يتح له غير النضال ولم تتوفر له أسباب الراحة والنعيم إلا في وقت متأخر من حياته، لذلك كان صعبا مع نفسه ومع الآخرين.

هو من جيل عرك الحياة وعركته فكان كما يريد أن يكون أو كما ينتظر منه أن يكون ولعل ذلك هو ما يوجب احترامه وتقديره والثناء على ما قدم للثقافة الوطنية.

لقد استطاع الأديب الكبير محمود المسعدي أن يثبت قدرته – وهو المدرسي– على امتلاك اللغة وإرغامها لقول ما يمكن أن تقوله.. ربما كان موقفه من اللغة موقفا نضاليا إذ اللغة هي مقوم أساسي من مقومات الهوية وربما كان موقفه تربويا وربما... وربما.

ولكن ما نخلص إليه أن علاقة المسعدي باللغة علاقة تستحق أن يفرد لها في البحث مجال.

لقد قدم المسعدي للثقافة ما يمكن أن يقدمه الكاتب وهو جدير بالذكر والتكريم.

ولد رحمه الله سنة 1911 وتوفي سنة 2005 وتكريمه هو إحدى واجبات الأجيال الحاضرة والقادمة.

العلامة
حسن حسني عبد الوهاب
[1884ـ 1968]

ولد العلاّمة حسن حسني عبد الوهاب سنة 1884 وتوفي سنة 1968 وبين سنة الميلاد وسنة الوفاة فعل ما لم يفعله الأوائل...

تقلب في مناصب عدّة في حياته فمن رئيس لمصلحة الأوقاف إلى إدارة الفلاحة والتجارة إلى قسم أملاك الدولة إلى مدير لإدارة غابة الزياتين بالشمال التونسي إلى إدارة المصالح الاقتصادية إلى رئاسة خزانة المحفوظات التونسية فواليا على المثاليث بجبنيانة فواليا على المهدية فواليا على الوطن القبلي فوكيلا على الإدارة المحلية والجهوية التابعة للإدارة الداخلية للبلاد وبعد انتهاء الحرب الثانية انتخب وزيرا للقلم وهو وظيف يشمل الإشراف على إدارة الشؤون الداخلية للبلاد والقيام بتحرير المهم من المكاتيب الدولية ومخاطبة ملوك الخارج إلى حدود سنة 1947 فهو على حدّ عبارة أجدادنا "مخازني" محبّ للوظيف نال من المناصب في عهد الاستعمار ما لم ينله أي كاتب أو أديب ولما جاء الاستقلال سمّي على رأس المعهد القومي للآثار والفنون إلى حدود سنة 1962.

لم تشغله وظائفه التي لا حصر ولا عدّ لها عن العلم والمعرفة بل كانت فرصته ليطّلع على الوثائق والمخطوطات والمسكوكات والاقتراب من البلاطات ومواقع القرار حتى لتذكّرك سيرته بابن خلدون في بعضها وبابن أبي الضياف في بعضها الآخر.

هو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة بل هو من أولهم إلى جانب الشيخين محمد الخضر حسين ومحمد الطاهر ابن عاشور فجلس إلى جانب الملوك والحكام ومن أشهر أقواله لما كان على مائدة الملك فؤاد الذي أسس مجمع القاهرة قوله: "الأكل مع الملوك للشرف لا للعلف"، ذلك أن الملك فؤاد دعاه إلى الفطور وكان طيلة الجلسة يتحدث ولا يأكل فلما سأله الملك عن عدم إقباله على الطعام قال قولته تلك.

وكانت له طرائف عدة في مجمع القاهرة حيث كان من دعاة تيسير اللغة من ذلك أن المجمع أطلق على اللمجة "السندويتش اسم شاطر ومشطور وما بينهما كامخ" فكان يتندر بذلك ويسخر من اجتهادات المجمع والمجمعيين.

أحب التاريخ واستطاع أن يكون مؤرخ تونس في القرن العشرين ولم ينازعه أحد في هذا اللقب بل سن طريقة ومذهبا في التاريخ كتب: "خلاصة تاريخ تونس" و"مجمل تاريخ الأدب التونسي" و"ورقات" و"كتاب العمر" الذي قال عنه: "تأليفي الكبير المعنون بـ(كتاب العمر) كتاب أفنيت فيه عمري واستنفدت صبري إذ قضيت في جمعه وتدوينه زهاء الستين عاما على الولاء وهو يخرج في عدة أجزاء وينطوي على التعريف المفصل بأكثر من ألف مؤلف تونسي في سائر العلوم والفنون" وخرج كتاب العمر في أربعة مجلدات ضخمة حققها البشير

البكوش صحبة محمد العروسي المطوي وهو بالفعل من أنفس الكتب وأكثرها علما ومعرفة.

عندما توفي العلامة حسن حسني عبد الوهاب قال عنه الأب ديمارسمان "لقد كان يقول لي أنت مسيحي وأنا مسلم إنما المؤمنون أخوة".

ذلك هو حسن حسني عبد الوهاب رمز العلم والمعرفة ورمز الإيثار عندما أهدى ألف مخطوط نفيس إلى دار الكتب الوطنية فنسج على منواله العديد من كبارنا أمثال إبراهيم عبد الباقي وأبو القاسم محمد كرو ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بلحاج يحيى... الخ فأتاحوا مكتباتهم الخاصة إلى العموم وذلك هو ما تحتاجه ثقافتنا من أعلامها ولذلك نحن الآن بصدد ذكر أفعالهم وأقوالهم احتراما لمآثرهم الخالدة.

الأديب محمد البشروش
[1911ـ 1944]

من لا يعرف محمد البشروش لا يعرف قصة التعصب للأدب التونسي فهو أول من كتب قصيدة النثر في تونس وأوّل من نظّر لها ودعا إلى الكتابة عنها وعلى منوالها

وهو من أوائل من كتبوا القصة التونسية ومن أوائل من كتبوا النقد الأدبي في تونس.

هو أحد أصدقاء الشابي ومصطفى خريف ومحمد الصالح المهيدي والصادق مازيغ ومحمد السويسي.

لم يكن مكثرا في الكتابة ولكنه تميّز بذكائه في طرق الأفكار والمبادرة إلى المشاريع الأدبية.

أسّس مجلة المباحث وفتحها منبرا للزيتونيين والمدرسيين على حدّ سواء ودعا فيها صراحة إلى ضرورة الاعتناء بالأدب التونسي وبالثقافة التونسية بل أعلنها صراحة بقوله : "سأتفرغ أنا للواجب والوطن" فكان يشعر بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقه إلى حدّ أنه قال فيما قال : "لست أدري لماذا أجد المسؤولية ملقاة على عاتقي وحدي" وثار على الأدباء عندما قال : "لماذا لا يشعر الأدباء بأنهم مسؤولون عن حياة الأدب في هذه الربوع؟".

لم يعمّر البشروش سوى ثلاثة وثلاثين عاما ولكنه عاش كما يجب أن يعيش الأديب الحقّ مخلصا للحرف والكلمة ومؤمنا بتوجيه الفكر إلى ضرورة الاعتناء بالثقافة التونسية، درّس في مليتة وفي نفطة وفي الكريب عين مدير مدرسة ابتدائية وفي الحمامات ثم في حمام الأنف إلى أن عاد إلى مسقط رأسه بدار شعبان الفهري حيث توفي ودفن بها... جاب البلاد من شمالها إلى جنوبها وكوّن العديد من العلاقات الأدبية والثقافية.

كتب عنه محمد السويسي والصادق مازيغ ومحمود المسعدي وأبو القاسم محمد كرّو ومحمود طرشونة ومحمد صالح بن عمر ومحمد القاضي وأنجز عنه الدكتور عبد الحميد سلامة أطروحة جامعية هي من أفضل ما كتب حول البشروش وأعماله النقدية والأدبية.

أقا مت له جهته مهرجانا في العديد من ذكرياته ورغم ذلك فإن البشروش لم ينل ما يجب أن يناله من عمل مثله وقدم خدمات جليلة للثقافة التونسية.

ولعلّ أول ما يجب نحو البشروش أن تجمع أعماله من أشعار وأقاصيص ومقالات نقدية وأدبية ورسائل بينه وبين معاصريه كالشابي وخريف والمهيدي وتجمع في مجلّد ضخم وأن تتصدى دار نشر خاصة أو عامة إلى إعادة طبع مجلة المباحث على غرار ما قامت به دور نشر مشرقية بإعادة طبع مجلة الرسالة والكاتب وأبوللو وغيرها لأن مجلة المباحث تعتبر سجلا لجزء من ذاكرتنا الإبداعية والفكرية وأن يتحول ملتقى البشروش إلى ملتقى وطني يكون مناسبة للتعريف بجهود الرجل وأعماله ولم لا يتحوّل إلى مركز للدراسات والتوثيق بدار شعبان الفهري يتم فيه

جمع كل ما كتب حوله وحول معاصريه الذين كانت له بهم علاقات...

لقد توفي البشروش يوم الرابع عشر من شهر نوفمبر 1944 ومرّت ذكراه دون أن نسمع عن ملتقى حوله أو أن نقرأ مقالا يذكر به وبجهوده.

لقد كان محمد البشروش أحد أبرز علامات التنوير في ثقافتنا وهو ما يرشحه ليكون مدار بحث وتفكير وتعريف وإحاطة.

جعفر ماجد

لا يمكن أن تطلق على الدكتور جعفر ماجد صفة الشاعر وتصمت وإلا فإن ذلك يجعلك تتحدث عن جزء من شخص تعددت مواهبه واختصاصاته.

هو باحث جامعي نال التبريز ولم يكد يتجاوز العشرين عاما إلا بقليل فكان أصغر الأقارجة على الإطلاق، ثم نال شهادة دكتوراه الدولة عن "الصحافة الأدبية"، كتب في النقد الأدبي وأشرف على أطروحات الدكتوراه وحثّ الطلبة على مواضيع كانت تستهويه وكان له الفضل في التعريف بالمعاصرين من رجالات القيروان كالحليوي والفائز القيرواني والشاذلي عطاء الله ومحمد مزهود القيرواني... وغيرهم، استهوته شخصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام فألف عنه كتابا، كتب في الأدب القديم والمعاصر، وكل موضوع من المواضيع التي شغلت باله واسترعت انتباهه إلا وشحذ لها قلمه.

خاض المعارك القلمية منذ حداثة سنه ولم يتهيب الكبار ولا الصغار.

عرف ببرامجه الإذاعية، حيث أنتج وقدم مئات البرامج الثقافية والأدبية وكتب في الصحافة فتميز برفضه للالتزام وسخر من جماعة غير العمودي والحرّ.

خاض العديد من المعارك الأدبية، وخلد تلك المعارك بقصائد في الهجاء هي من أمتع ما تقرأ فالويل كل الويل لمن يخوض معركة مع الشاعر.

اجتمعت مرة معه في مجلس الشيخ محمد مزهود القيرواني وكان معنا الشاعر حسين القهواجي، ولأول مرة أرى فيها الدكتور ماجد يجلس إلى الشيخ مزهود كما يجلس التلميذ إلى أستاذه فكان الدكتور لا يكف عن السؤال وكان الشيخ لا يعرض عن إجابة وتلك هي سمة من سمات المدرسة القيروانية.

عندما تقاعد الدكتور جعفر ماجد لم يكف عن النشر والإبداع بل كان التقاعد بالنسبة إليه فرصة لإعادة الانطلاقة حيث أسس مجلة "رحاب المعرفة" وأنتج عشرات الكتب من بينها "الأعمال الشعرية" و"كتاب الرسائل" إذ لم يخرج في عالم الكتب إلى يوم الناس هذا أجمل منها إخراجا وأمتع منها أسلوبا.

شخصيا أحب جعفر ماجد وذلك لما أجده منه من تشجيع لي وحفزي على مزيد البذل والعطاء وكثيرا ما طلب مني أن أحثّ زملائي على المبادرة بالنشر في مجلة "رحاب المعرفة" إذ يريدها كالجنة الفاتحة ذراعيها للشيوخ والشبان.

العديد من الذين لا يعملون ويؤذي أنفسهم أن يعمل الآخرون ولا يحبون جعفر ماجد ولكني أحبه لأني من العاملين وأحب العاملين في الأرض بالساعد أو بالقلم.

أطال الله عمر الشاعر الكبير جعفر ماجد حتى يفيد البلاد والعباد بعطائه الذي لا حدود له.

عبد العزيز بن يوسف
نابذ العصبية

الأستاذ عبد العزيز بن يوسف عالم كامل كما يقول القدامى، رجل لطيف كيّس، لبق، زيتوني، متفتح، نابذ للعصبية، شديد على الجهلة، غير متسامح مع عديمي المعرفة... يجمع بين صفات شتى عرفته عندما كنت تلميذا بالمعهد الثانوي بنهج باش حامبة ببنزرت وكان أيامها متفقدا لأساتذة اللغة العربية وحضر معنا في درس نموذجي قدمه أستاذنا وكان الدرس الذي نشرح قصيدة كتبها الشاعر الكبير مصطفى خريف عن الجامع الأعظم جامع الزيتونة المعمور فطلب مني أستاذي قراءة القصيدة وما أن أتممتها حتى شعرت بيد تربت على كتفي... فالتفت فإذا بي أراه يقوم من مكانه ليشكرني على حسن القراءة وتلك حادثة لن تمحى من ذاكرتي.

عرفته محاضرا ألمعيا فذا قادرا على شدّ الانتباه إلى الموضوع الذي يحاضر فيه فلا ورم في عباراته ولا حشو ولا إطناب في تصريف المعاني وإلقاء الكلام على عواهنه... ورأيت أساتذة الجامعة يقفون إجلالا له عندما يأتي من بنزرت لحضور مناقشة أطروحة دكتوراه في قاعة حسن حسني عبد الوهاب بكلية الآداب بمنوبة.

رجل قصير الطول، أبيض البشرة ضيق العينين، أشيب الرأس، نحيف الجسم، تلمس الطيبة على وجهه، حلو الحديث، لا يملك من لا يعرفه إلا أن يحبه ويجلّه.

ولد السيد عبد العزيز بقصر قفصة واختار بنزرت موطنا له فأحبها وأحبّ أعلامها وكتب عنهم فكان من أبرز الذين كتبوا عن الشيخ إدريس الشريف صاحب الفتوى الشهيرة في معركة التجنيس والذي تحمل دار الثقافة ببنزرت اسمه وتحتفل بنزرت بذكراه كل سنة في ملتقى علمي يحمل اسمه.

كتب السيد عبد العزيز بن يوسف صاحب الثقافة العالية والعلم الغزير عن مفتي المالكية ورئيس المجلس المختلط ونائب الدولة بالجامع الأعظم جامع الزيتونة المعمور سيدي عمر ابن الشيخ البنزرتي أول كتاب جامع مانع وسمه بـ: "عمر ابن الشيخ شهادة على عصر متحول".

رغم تقدم السيد عبد العزيز بن يوسف في السن فإن حياته بعد التقاعد من الوظيفة لم تهدأ... بل انطلقت من جديد وواصل التأليف والكتابة وكتب عن علم آخر من أعلام بنزرت وهو الفيلسوف والمفكر محجوب بن ميلاد... وكأنه يريد أن يثبت وهو الزيتوني أعني سي عبد العزيز أنه فوق الصراع الزائف بين الزيتونيين والمدرسيين.

للأستاذ عبد العزيز بن يوسف عدة محاضرات حول الشعر والشعراء والحركة الثقافية والفكرية بربوع عروس المتوسط وقلعة الجلاء وأرض النضال بنزرت.

كثير ما قدم هذا الرجل وقليل ما أخذ.

إن للبنزرتيين دين في أعناقهم تجاه هذا الرجل فلا أقل من أن تهب الجهات الثقافية بها لتكريمه ومبادلته كرم التعريف برموزها بكرم الاعتناء والتبجيل.

السيد عبد العزيز بن يوسف مثال للمربي الحق والمثقف الحق أطال الله في أنفاسه حتى نستفيد من غزير معارفه وجهوده المتواصلة في التأليف والكتابة ونرجو أن يتعزّز به التاريخ الجهوي لبنزرت حتى يتعزّز به التاريخ الوطني لثقافتنا.

وأننا مهما كتبنا ومهما قلنا لإيفاء حق الرجل فإن ديونه علينا أكثر.

حسن قارة بيبان

[1909-1984]

دأبت مدينة بنزرت منذ سنوات على تنظيم ملتقاها المسرحي السنوي الذي تطلق عليه اسم "حسن قارة بيبان" وهذا الرجل العلم هو والد القصاصة والروائية الموهوبة "بنت البحر".

ولد حسن قارة بيبان سنة 1909 وتوفي سنة 1984 وبين سنتي الميلاد والوفاة استطاع هذا الرجل العلم أن يخطّ مسيرة متميزة بوأته المكانة اللائقة بحجم عطائه حتى خلدت جهته اسمه من خلال ملتقاها السنوي.

ابتدأ حسن قارة بيبان حياته الأولى كاتبا بنيابة الأوقاف ببنزرت ثم عمل عدل إشهاد فمدرسا بالفرع الزيتوني فأستاذا للتعليم الثانوي فأول مدير لأول مدرسة حرة للتعليم الابتدائي والثانوي ثم عاد من حيث ابتدأ حيث انتصب للإشهاد إلى آخر عهده بدنيانا.

ولم تقتصر جهود الرجل على المهن والوظائف بل كان مؤسسا للعديد من الجمعيات الثقافية كجمعية الرابطة العلمية (1932) وفرع جمعية الشبان المسلمين وأول ناد للشطرنج ببنزرت.

ومما يذكر أيضا عن إنجازات هذا العلم أنه أسس فرقة الثغر المسرحية صحبة عمر خلفة وساهم في تأسيس نادي خميس

ترنان وقام بإنجاز فهرس المكتبة اللزامية وترأس جمعية النهضة التمثيلية من 1939 إلى 1956 وكان من بين الساعين إلى بعث الفرع الزيتوني ببنزرت سنة 1946.

اندفاعه هذا وصدقه وحماسته ألقت به في أحضان الحزب الدستوري وقد كان خطيبا يوقظ همم الشعب ويلهب حماستهم ضدّ المستعمر إلى أن وقع تهديده بالطرد من المدرسة القرآنية.

فهو من الرجال العاملين ومن الأعلام المخلصين لوطنهم وهو فنان بكل ما تعنيه كلمة فنان وقد ورث عنه أخلافه حب الأدب ورفعة الهمة فأنجب كما ذكرنا حفيظة قارة بيبان المشهورة باسم بنت البحر والرسام حليم قارة بيبان والمربية القديرة منية قارة بيبان وكأن عشقه للأدب والفن قد وزعه على أبنائه فأورث كل واحد منهم عشقا لميدان من ميادين الإبداع والفكر.

ولحسن قارة بيبان المقالات والقصائد والآراء التي نشر بعضها وبقي بعضها الآخر مخطوطا في محفوظات عائلته فليت منهم من يتصدى لجمع إرثه ونشره فإن كان لا يمثل عصرنا فإنه يشهد على العصر الذي عاش فيه ويمثل طَرْقا واهتماما شغل بال الرجل ومن عاصره.

كل ما نرجوه أن تخلد ذكرى هذا الرجل الذي قدم لعصره وثقافته ما يمكن أن يقدمه وليس كثيرا عليه أن يحمل ملتقى اسمه فهو جدير بكل احتفاء وتكريم، فالثقافة تسمو برجالاتها والبلاد تكبر بأعلامها ولعل مائوية ميلاده التي ستكون سنة 2009 تكون حافزا لأخلافه أن يبادروا بإنجاز كتاب يذكّر بجهود الرجل ونضالاته فيكون الكتاب وثيقة قد خلدت علما من أعلام بنزرت ورجلا من رجالات تونس.

محمود الباجي

[1906ـ 1987]

هو من أعلام الشعر والأدب والصحافة قبل أن يتولى القضاء سنة 1932 فقد كتب في جرائد "القيروان" و"الوزير" و"النهضة" و"الزهرة" التي ترأس تحريرها في مرحلتها الأخيرة وكتب في "الأسبوع" و"الثريا" و"الندوة" و"الزهو" وفي مجلتي "العالم" و"العالم الأدبي" وفي جريدة "الاعتماد الزراعي" وكان أحيانا يمضي باسمه الصريح وفي أحيان أخرى يمضي مقالاته بأسماء مستعارة كـ"أبو الوليد" و"أبو هاشم" و"م. ب" و"محمود..." و"القيرواني" وله ما يزيد عن العشرة كتب مطبوعة كـ""القاضي الفاضل" و"مثل عليا من قضاء الإسلام" و"شيخ الإسلام ابن القيم" و"وفد الله إلى حرمه الآمن" و"قسم إسلامية" و"المعجزة الخالدة" و"تحت راية الإسلام" و"ابتهالات" (شعر).

وهو من المؤمنين بدور الجمعيات في تفعيل المشهد الثقافي إذ كان عضوا في الجمعية الرشيدية وفي جمعية الشبان المسلمين وجمعية قدماء الصادقية وجمعية المحافظة على القرآن الكريم.

وإلى جانب نشاطه الصحفي والجمعياتي وعمله القضائي كان يساهم في الإنتاج الإذاعي بأسمار عديدة كانت معروفة ومشهورة كبرامج : غرائب التحقيق الجنائي و"صفحة من تاريخ القضاء التونسي" و"أشهر القضايا" و"حديث قانوني" و"من آداب

الشرق" وهو من أوائل من باشروا الأحاديث الدينية في التلفزة التونسية غداة انبعاثها.

ترك الأديب والشاعر محمود الباجي العديد من المخطوطات من ذلك: "ديوان شعري" وكتاب عن "تاريخ قضاة القيروان" و"مشاكل الطفولة المنحرفة" و"تاريخ وحدة الشمال الإفريقي" و"من صميم الحياة"... الخ.

فليت بعض الجهات الثقافية وخاصة في مدينة القيروان تتولى نشر أعماله المخطوطة وإعادة المطبوع منها في ذكرى من ذكرياته، فالقيروان غنية بمعالمها وكبيرة بأعلامها الذين كتبوا في شتى ميادين الفكر والأدب وألوان الثقافة ولم لا يتم بعث ملتقى يحتفي بالأعلام فتكون الفرصة لتكريم الأدباء سنة بسنة وعاما بعام فيخصص ملتقى لتكريم محمود الباجي والسنة التي تليه تكون مخصصة لتكريم الشاذلي عطاء الله وهكذا حتى يعرف شباب القيروان تراثه القريب فيفخر به قدر افتخاره بتراثه البعيد وذلك ما يجعل في الأنفس حافزا للنسج على منوال من تقدموا فتكثر الأعمال وتقوى الساحة الثقافية بالحركية الدائبة والإنتاج الأدبي المتميز.

محمد الشاذلي عطاء الله

[1899ـ 1991]

أتثير إحساسي... وتحسب أنني
أجثو أمـــامك أطلـب الغفـــرانا
أوَ ما علمت بأنني البطــــل الذي
عرف السجون وأرعب السجـــانا
في (كرّتي) أكون مقدمـــــــــا
أرضي الصحاب وأدهش (الشيفانا)

هذه قطعة شعرية قالها الشاعر الكبير محمد الشاذلي عطاء الله إثر خروجه من سجن منتوزان بسوسة في أعقاب دخول جيوش الحلفاء إلى القيروان في شهر أفريل 1943.

ولئن كانت روح الفكاهة تسيطر على هذه القطعة الشعرية غير أنها تؤرخ لوطنية الشاذلي عطاء الله وتبرز قدرته على قول الشعر.

ولد محمد الشاذلي عطاء الله في السنة نفسها التي ولد فيها الطاهر الحداد أي سنة 1899 وقد كتب في العديد من الجرائد والمجلات السائدة في عصره كالوزير والنهضة والزهرة والعمل

والصباح والمباحث والثريا ومجلة الجامعة ومجلة مكارم الأخلاق ومجلة الفكر وهو شاعر تقليدي ولكنه من المجيدين، له شعر غزير في الوطنيات وله مثله في الإخوانيات وله في مدح محمد الأمين باي وفي مدح الزعيم الحبيب بورقيبة الكثير من القصائد، عشق القيروان وتغنى بأمجادها وكتب عنها الشعر والنثر وكيف لا يفعل ذلك وهو من أعيانها ومن أبرز رجالاتها إلى حدّ قال عنه صديقه محمد الحليوي: "أقول بكل إخلاص إن مكانته هي الصدارة وأن أمثاله في المعاصرين قليلون ومن صفات شعره الروعة ومتانة السبك وسلامة الذوق واختيار الكلمة الملائمة للغرض المختار". توفي الشاعر الكبير محمد الشاذلي عطاء الله فجر الثلاثاء 10 سبتمبر 1991. وقد طبع أغلب شعره وأقيمت له أربعينية وفاته حيث شارك فيها العديد من الرموز الثقافية وألقوا فيها الشعر والنثر وبقيت بعض أعماله مخطوطة ككتابيه "أعلام الأدب في القيروان" و"في السيرة النبوية" إضافة إلى مقالاته الموزعة في الجرائد التي أشرنا إليها ولعل تلك البقايا جديرة بأن تجمع وتنشر حتى نتعرف أكثر على اهتمامات الرجل وشواغله الفكرية والأدبية وطريقة ترجمته لأعلام الأدب والثقافة لأن كتابة التراجم تختلف من شخص إلى آخر إذ هناك جوانب يستطيع أن يبرزها هذا عندما يسكت عنها ذاك إضافة إلى ما تحمله التراجم من معلومات خاصة يكتبها المترجم عن معاصريه أو من أدركهم فيلفت الانتباه إلى نواح لا يعلمها سواه.

لقد استطاع الشاذلي عطاء الله أن يلفت الانتباه في حياته إلى شعره عندما كان أحد الشعراء الرسميين في الاحتفالات العامة ولكن شعره اليوم بقي مسكوتا عنه منسيا كغيره من شعراء عصره وشخصيا أعتقد أن ذلك الشعر سيصبح وثيقة أدبية

وسجلا شاهدا على فترة معينة من تاريخنا الحضاري والثقافي والأدبي.

إن الالتفات إلى تراث هذا الرجل العلم من طرف أجيال اليوم يعتبر أحد أقدس الواجبات.

محمد الهاشمي المكي
وجريدته "أبو قشة"
[1881 ـ 1942]

إذا أردنا أن نتحدث عن الإشعاع التونسي خارج الحدود فإننا نذكر أحد أبرز رموز الصحافة الهزلية في تونس إن لم يكن رائدها أعني المناضل محمد الهاشمي المكي صاحب جريدة "أبو قشة".

ومحمد الهاشمي المكي هو أحد الزيتونيين التنويريين أمثال ابن خلدون والشابي والطاهر الحداد وأغلب الذين صنعوا نهضة تونس الحضارية والثقافية.

وهذا العلم البارز الذي لا تعرف أجيال اليوم اسمه ولا رسمه هو والد الرسام الكبير حاتم المكي وأحد أقرباء الشاعر محمد الهاشمي بلوزة الذي سماه والده على اسمه.

ولد محمد الهاشمي المكي بتوزر سنة 1881 أي في نفس السنة التي احتل فيها المستعمر الفرنسي بلادنا ولعل اقتران تاريخ ولادته بحلول الاستعمار هو الذي جعله يشعر بالنقمة على الاستعمار حيث أسس سنة 1908 جريدة "الإسلام" متحديا بها سياسة الاستعمار وعاملا على فضح توجهاته فلما تم تعطيل تلك الجريدة أسس جريدة "أبو قشة" وهي تسمية يكنى بها القرد

فكانت هزلية ساخرة ناقدة فاضحة مشوهة لساسة الاحتلال ببلادنا.

أسس محمد الهاشمي المكي جريدة "أبو قشة" سنة 1909 وعن هذه الجريدة قال الأستاذ الكبير أبو القاسم محمد كرو: "كانت جريدة "أبو قشة" ويعنى بها القرد تصدر باللهجة الدارجة المهذبة مع مقالات قوية حادة بالعربية الفصحى... وقصائد من الشعر الشعبي وكان معظمها من نظم الشاعر الشعبي قاسم شقرون... وكان محتوى الجريدة بجميع أشكاله التعبيرية دعوات قوية حارة إلى النهضة واليقظة السياسية والعلمية. ونبذ البدع والزوايا والجمود والركود... والإقدام على العمل من أجل بناء الوطن وتحريره وتحقيق الخير والتقدم والحرية للشعب كافة" (راجع حصاد العمر، المجلد 2).

كل هذا جعل من المستعمر يعمل على إيقاف تلك الجريدة ونفي صاحبها إلى ليبيا التي كانت تسمى طرابلس الغرب. وقد انتصب فيها سنة 1911 الاستعمار الإيطالي، ولم يتهيب محمد الهاشمي المكي النفي وسياسة الاستعمار فأعاد إصدار جريدته بنفس الاسم ونفس الروح موجها انتقاده إلى السياسة الاستعمارية في تونس وليبيا في الوقت نفسه بل تكونت له روح المقارنة بين الاستعماريين ففضح السياستين مما أدى إلى تعطيل جريدته مرّة ثانية من طرف الاستعمار الإيطالي ونفيه من جديد.

وعن هذه الفترة في ليبيا كتب الأستاذ علي مصطفى المصراتي كتابا هو المرجع الأوحد واليتيم بعنوان "أبو قشة وجريدته في طرابلس الغرب" وهو من الكتب الرائدة والمراجع النادرة حول هذا الرجل العلم.

هاجر صاحبنا إلى مصر فتركيا حيث كتب كتابا كاملا يشهّر فيه بالاستعمار الإيطالي وعاد إلى تونس سنة 1913 ولكن سلطات الاستعمار الفرنسي تفطنت إليه فنفته من جديد فطاف البلاد باحثا عن مستقر إلى أن استوطن أندونيسيا التي أسس فيها جريدة ناطقة بالعربية اسمها "بورو بدور" وهناك تزوج وأنجب حاتم وقصي وعاش هناك إلى أن توفاه الله سنة 1942.

هذا الرجل المناضل والصحافي الحقّ الذي لم تثنه العراقيل جدير بكل تكريم وجدير بأن تذكر أعماله وتقام له الذكريات وتكتب عنه الكتب وتعاد جريدته إلى الظهور في طبعة جديدة حتى يعلم الجيل الحالي ما قدم أسلافه للثقافة وللوطن.

الباحث والمحقق محمد محفوظ

[1923ـ 1988]

حياة هذا الرجل تدعو إلى العجب والاستغراب والإعجاب في آن واحد، فهو مثال لقهر العجز ونموذج لقهر الظلم.

قهر الظلم عندما أثبت أن الوظائف زائلة وما هي إلا وسيلة للارتزاق وقهر العجز عندما حول حياته من حياة استكانة وخنوع إلى حياة تعجّ بالمشاريع الأدبية والفكرية.

ذلك أن محمد محفوظ المولود بصفاقس في غرة جانفي 1923 وتوفي بها في 6 جوان 1988 قد تحصل على الشهادة العالمية في الشريعة وأصول الدين وعلى شهادة الحقوق التونسية ومن له هذه الشهائد كان يمكن أن ينتصب للإشهاد (عدل إشهاد) ويصبح وكيلا (محاميا) أو يحتل منصبا محترما غير أنه باشر حياته المهنية في صنف مستكتب إدارة. وهو ما جعله يشعر بالضيق والضيم والحيف فانصرف إلى التحقيق والتأليف.

زادته الحياة مأساة حيث أصيب بمرض السكري فأدى به ذلك إلى بتر أحد رجليه ثم بترت الثانية وأصبح عاجزا عن الحركة تماما ولم يتحول من حالته تلك إلى حالة أفضل إلا عندما تولى الدكتور محمد اليعلاوي الوزارة حيث زاره في منزله وأمر

بصرف مكافآته المادية ومستحقاته التي تمّ تعطيلها مدة سبعة أشهر لأنه انقطع فيها عن العمل... فلم تزده الإجراءات الإدارية والروتين القاتل إلا كرها للحياة وحبا في الموت وهو ما عجل بوفاته حيث أنه توفي في سن تعتبر متقدمة نسبيّا.

من كتبه الرائدة نذكر "ثورة علي بن غذاهم" و"تحقيق مشيخة ابن الجوزي" و"جولة بين الكتب" في جزئه الأول و"تحقيق ديوان محمد الشرفي الصفاقسي" و"برنامج الوادي آشي" و"تحقيق الأربعين حديثا لأبي الحسن البكري".

وكتابه الموسوعة "تراجم المؤلفين التونسيين، في خمسة أجزاء وإن كان هناك العديد مما يقال في هذا الكتاب ولكن ما يغفر لصاحبنا – رحمه الله- أنه لما كان بصدد تأليفه ذاك لم يكن في حالة صحيّة تسمح له بالبحث والتنقيب فاكتفى باليسير والمتناول... ومهما يكن فقد سدّ كتابه ثغرة هامة في كتب التراجم.

ولو انصرفنا إلى تعداد مؤلفاته وتحقيقاته لما كفانا هذا العمود لنقول ما نريد قوله فالرجل عمل واجتهد ما أمكنه إلى الاجتهاد سبيلا ويبقى علامة من علامات الثقافة والوطنية وهو جدير بإحياء الذكرى وإطلاق اسمه لا على جائزة الإبداع في صفاقس فقط بل هو جدير بملتقى يحمل اسمه ويدرس أعماله ويذكّر بمآثره الخالدة.

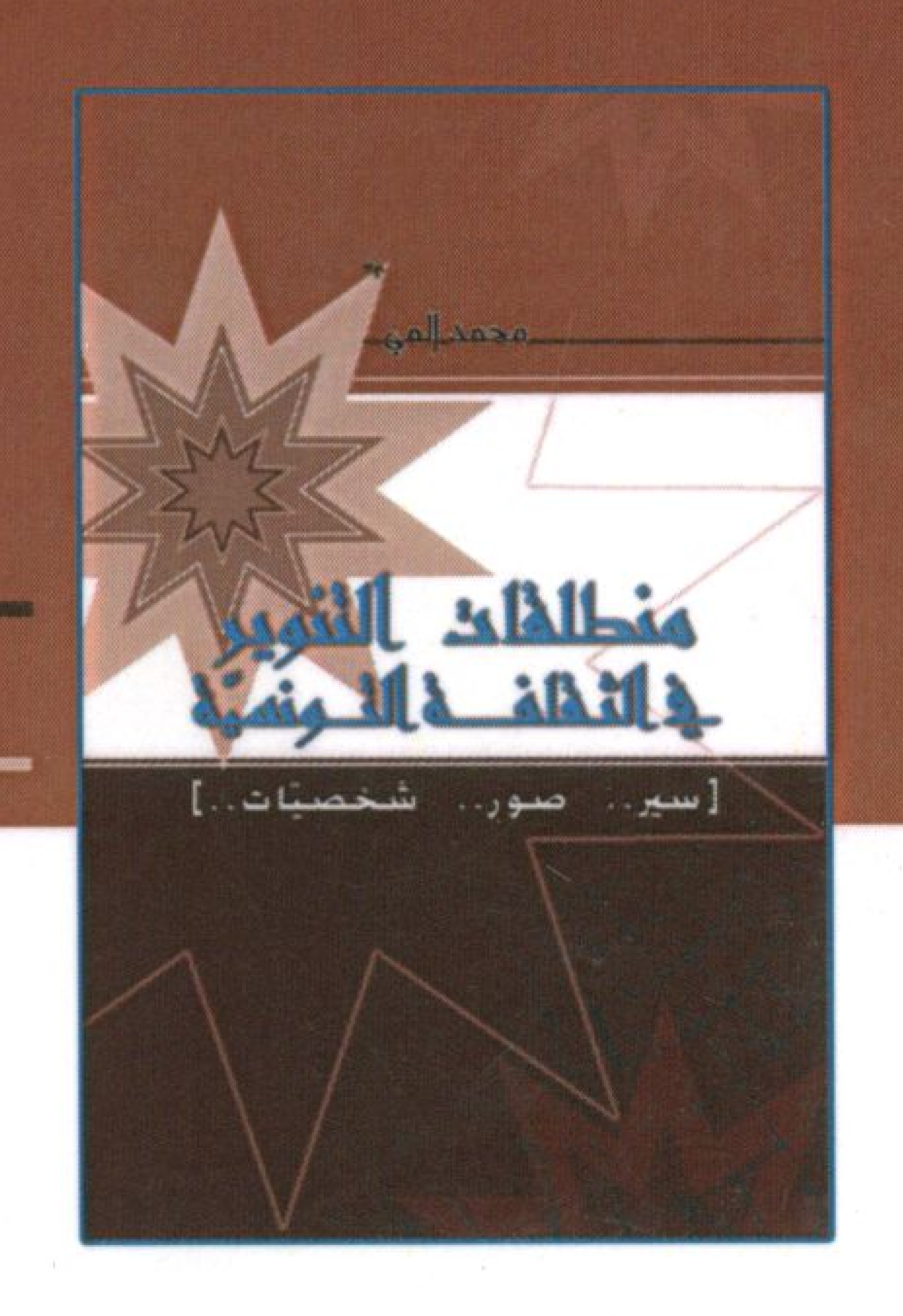
محمد محفوظ مثال للمثقف الحقيقي الذي تنطبق عليه صفة المناضل الذي ابتلته المحن فكان أقوى منها وترك بصمة في التاريخ الأدبي والثقافي.

الفهرس



منطلقات التنوير في الثقافة التونسيّة

[سير.. صور.. شخصيات..]



وحسبي من هذا العمل أن أكون قد ساهمت في تكريم من ترجمت لهم، وذكّرت بهم وربّما يكون عملنا هذا فاتحة لكتب تسهب في التعريف بهم وتتوسّع في التركيز على كلّ جوانب حياتهم العلمية والأدبية والثقافية، ذلك أن لأعلامنا علينا الكثير من الواجبات.

لقد وسمت كتابي هذا بـ"منطلقات التنوير في الثقافة التونسية" على اعتبار أن من ترجمت لهم في هذا الكتاب أسهموا في دفع الفكر التنويري التونسي أو العمل على إبرازه من حيز القوة إلى الوجود. ونظرا لأن فعل التنوي في استمرار دائم فإننا لم نتوقف عند الرموز الأول بل مزجنا اللاحق بالساب دون مراعاة أي نوع من الترتيب أو التقسيم كأن نفرد لل فصلا وللأحياء فصلا آخر أو أن نبدأ بالأسبق في الولاد نرتب المداخل على حروف المعجم... الخ.

إني قصدت التنبيه لمن اخترتهم موضوع فاستدعيت عديد الأسماء التي رأيتها تؤكد صحة التمشي اخترت. قد نحتاج فكر الحداد في لحظتنا الراهنة قدر احتيا جهود الأحياء الذين ترجمت لهم...

